في رحاب التقوى

تأليف
محسن الخرازي

تنقيح
محسن الحسيني الأميني







تأليف

السيد محسن الخرازي

نقحه وأضاف إليه

السيد محسن الحسيني الأميني





الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية - ١٤١٥ هجرية



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب محطة دياب - بناية المهنية اللبنانية.

ص.ب ٢٥/٢٤٠ الغبيري - تلفون: ٨٢٥٣١٦ فاكس: ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع ان تقدم لقراء منشوراتها الاعزاء كتاباً جديداً اتحف مؤلفه به رواد الحقيقة وطالبي الكمال، مستنيراً بما ابدعه تلميذ القرآن الامام علي (ع) من كلماته التي ما زالت منهاجاً لكل سالك ودليلاً لكل رائد ونوراً لكل مدلج رام الوصول الى مصاف اهل الارواح ومصلحي القلوب والنفوس. والكتاب انطلاقة في عالم رحب هو عالم التقوى التي هي الاساس الوحيد لتهذيب النفس عما يعلق بها من رذائل الدنيا والدافع الى الاخلاق الفاضلة، والكتاب ابحار جميل مع عالم التقوى حيث تناولها مؤلفه من جوانب عديدة وجعل منهاج بحثه القيم خطبة الامام علي (ع) المعروفة التي يصف فيها المتقين.

وهذه التحفة المباركة بما حوته من تجربة غنية من فكر الامام علي (ع) هي عامل لصقل النفوس في زمن أفتقدت فيه القيم والمناهج الاخلاقية الاصيلة وحلت قيم الانحطاط والانفلات والعبثية في واقعنا.

ودار الحق التي عودتكم بما هو جديد ومفيد تضع هذا الكتاب ـ في رحاب التقوى ـ بين يدي القراء الاعزاء مواصلة العطاء معهم بكل ما تشعر انه مورد قبولهم وطلبهم واهتمامهم.

ومن الله نستمد العون

دار الحق
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، حبيب اله العالمين أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين .

فضيلة التقوى

لا شك انّ أهم الأشياء بعد الإعتقاد بالمبدأ والمعاد وسائر الأُصول الحقّة هو تقوى الله عزّ وجلّ، ولقد أشار اليها سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم مرّات عديدة حتّىٰ بلغت هذه الكلمة ومشتّقاتها أكثر من مأتين ، ومن الواضح جداً بأنّها هي الأساس الوحيد لتهذيب النفس عن الرذائل والصفات الذميمة، وسوقها إلى الأخلاق الفاضلة الحميدة، وهي في الواقع كما تعلم من المفاهيم الاخلاقيّة الهامّة التي بها ينال الإنسان مرتبة القرب إلى الله سبحانه

عزّ وجلّ فانّها في الحقيقة رمز للانسانيّة وفخر وشرف له وملاك للفضيلة (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أَتْقَكُمْ)[1]، نعم مما يبدو في ظاهر الامر بانّها استعملت في القرآن الكريم في موارد متعددة ومختلفة فنذكر نبذة منها:

منها: إنّ اللّه عزّ وجلّ جعلها شرطاً لقبول الأعمال حيث قال: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللّه مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ)[2].

ومنها: إنّ اللّه عزّ وجلّ جعلها خير الزاد حيث قال: (تَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ)[3].

ومنها: إنّ اللّه عزّ وجلّ جعلها ملاكاً للنيل إلى رحمته حيث قال: (وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[4].

ومنها: إنّ الله عزّ وجلّ جعلها رمزاً للبصيرة في الدين ونجاة عن المعضلات والفتن حيث قال: (يَاأَيُّها اَلَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَاناً)[5] وقال أيضاً: (وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً)[6].

ومنها: انّ الله عزّ وجلّ جعلها سبباً لرفع الخوف والحزن حيث قال: (فَمَن ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[7].

---

(١) الحجرات : ١٣

(٢) المائدة : ٢٧ .

(٣) البقرة : ١٩٧ .

(٤) الحجرات : ١٠ .

(٥) الأنفال: ٢٩.

(٦) الطلاق: ٢.

(٧) الاعراف: ٣٥.

ومنها: ان الله عزّ وجلّ جعلها سبباً لعدم تأثير كيد الأعداء والكفّار حيث قال: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾[١].

ومنها: انّ الله عزّ وجلّ جعلها فخراً لعباده حيث قال: ﴿إِنَّ اَللَّهَ مَعَ اَلَّذِينَ اَتَّقَوْا وَاَلذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٢].

ومنها انّ الله عزّ وجلّ جعلها سبباً للرزق من حيث لا يعلم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[٣].

التقوى في اللغة

قال الفيومي: وقاه الله السوء يقيه ووقاية بالكسر: حفظه، إلى أن قال: واتّقيت الله اتقاء، والتقيّة والتقوى: اسم منه، والتاء مبدلة من واو، والأصل وقوى من وقيت لكنّه ابدل ولزمت التاء في تصاريف الكلمة[٤].

وفي القاموس: وقاه وقياً ووقاية وواقية: صانه، الى أن قال: والإسم التقوىٰ وأصله تقياً قلبوه للفرق بين الاسم والصفة، ورجل تقي: أي من أتقياء[٥].

---

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) النحل: ١٢٨.

(٣) الطلاق: ٢ و ٣.

(٤) المصباح المنير: ص ٦٦٩.

(٥) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٠١.

وقال الراغب في مفرداته: الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، والتقوى: جعل النفس في وقاية ممّا يخاف[١].

وفي الذريعة الى مكارم الشريعة: التقوى: جعل النفس في وقاية من سخط الله تعالى[٢].

فعلى هذا لا وجه لاختصاص معناها بـ«الاجتناب» كما ذهب إليه بعض الأجلّة حيث قال: التقوى: هو التجنّب عمّا يضرّ في الآخرة وإن كان ضرره يسيراً[٣].

بل الصحيح : أنّها عبارة عن التحفّظ لفعل أو ترك، ومن هنا يظهر لك عدم الحاجة إلى التقدير في قوله تعالى: **﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**[٤] ، اذ التحفظ في حق الأرحام كالتحفظ في جانب الله تعالى أمر لا حاجة الى تقديره شيء آخر، بخلاف ما إذا فسّرنا معنى التقوى بـ«الاجتناب» فانه حينئذ يحتاج إلى التقدير، فبالنسبة إلى الله عزّوجلّ يقدّر «المؤاخذة والعقاب» وبالنسبة إلى الأرحام يقدّر «قطع الأرحام، او عدم صلتها».

---

(١) المفردات: ص ٥٣٠.

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة: ص ١٠٢.

(٣) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٨ ص ١٦٣.

(٤) النساء: ١.

التقوى في الإصطلاح والعرف

وهي ملكة نفسانيّة تصد النفس عن الوقوع في الخطأ والذنوب ، قال الراغب: وصار التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عمّا يؤثم[١].

وقال بعض الأجلّة: وفي العرف صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة وقصرها على ما ينفعه فيها[٢].

وما قيل: بأنّها صفة فعل وأنّها مختصة بالاجتناب كما تقدم، لا وجه له بعد اطلاق مفهومها، ويشهد له قوله (عليه السلام) في نهج البلاغة : **«ذِمَّتي بِمَا أقولُ رَهِينَةٌ، وأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ اَلعِبَرُ عَمّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِن اَلمَثُلاتِ حَجَزَتْهُ اَلْتَقْوَىٰ عَنْ تَقَحُّم الشُبُهَاتِ»**[٣].

فان الظاهر منه: هو أن التقوى حالة تحجزه عن التقحّم والتردّي في الشبهات، إذن فهي صفة نفسانيّة توجب التحجز لا إنّها نفس الاجتناب والتحجز.

ويشهد له أيضاً قوله (عليه السلام) في نفس هذه الخطبة: **«ألا وإنّ الخَطَايا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أهْلُها وَخُلِعَت لُجُمُها، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ في النّارِ ألاَ وَإنَّ التّقْوى مَطَايا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْها أَهْلُهَا وأُعطُوا أزمّتَها فأوْرَدَتهُمْ الجَنَّة»**[٤].

---

(١) المفردات: ص ٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٢) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٨ ص ١٦٠

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٧ الخطب ١٦.

(٤) نهج البلاغة: ص ٥٧ الخطب ١٦.

حيث جعل التقوى سبباً للعمل بالخير الموجب للدخول في الجنة.

وهكذا يشهد له قوله (عليه السلام): «**عِبَادَ اللّهِ، إنّ تَقْوىٰ اللّهِ حَمَتْ أوْلِيَاءَ اللّهِ مَحَارِمَهُ، وَألْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتّىٰ أسْهَرَتْ لَيَالِيهُمْ وَأضمَأتْ هَوَاجِرَهُمْ**»[1][2].

حيث جعل الإجتناب عن المحرمات من آثار التقوى لا عين التقوى.

كما يؤيده قوله (عليه السلام): «فانّ التقوىٰ في القلب»[3].

والحاصل ان التقوى عبارة عن ملكة نفسانيّة توجب قدرة النفس على التحفظ على الامتثال وترك المحرّمات.

منشأ التقوىٰ

سبب التقوى في الواقع لا يكون الا الخوف الحاصل من المعرفة بالله واليوم الآخر، إذ من عَرِفَ الله سبحانه وتعالى حق معرفته خاف من مخالفته، وكيفيّة الخوف قلّة وكثرة ترتبط الى كيفيّة المعرفة، إذ درجات المعرفة مختلفة، فكلّما زادت المعرفة زاد الخوف وكلّما قلّت المعرفة قلّ الخوف، اذن رسوخ تلك الصفة في النفس ناشئة عن الخوف الحاصل من المعرفة بالله عزّ وجلّ كما يشهد له قوله (عليه السلام): «التقوى: ما ينفجر من عين المعرفة

---

(١) الهاجرة: مؤنث الهاجر: نصف النهار في القيظ، أو من زوال الشمس الى العصر، لأنّ الناس يسكنون بيوتهم.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٦٩، الخطب ١١٤.

(٣) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٨٣، ح ٤.

بالله»[١].

متعلق التقوىٰ

إنّ متعلق التقوى حسب الآيات الواردة في المقام مختلفة، فبعضها تدلّ على أنّه هو الله سبحانه كقوله تعالى: (وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ)[٢].

وبعضها الأخرى تدلّ على أنّه هو يوم القيامة كقوله تعالى: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلعَذَابِ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ)[٣]، وكقوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلىٰ ٱللَّهِ)[٤].

وبعضها الأخرى تدلّ على أنّه هو الجحيم والنار كقوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[٥].

وجميع هذه الأُمور ترجع الى شيء واحد في الحقيقة إذ الوقاية من القيامة أو من النار إنّما ترجع إلى الوقاية والحذر من الله تعالى، إذ هو الذي يحاسب عباده يوم القيامة ويؤاخذهم ويعاقبهم، وبعبارة أُخرىٰ التقوىٰ إمّا مستندة إلىٰ المتعلّق الأصلي، أو مستندة إلى الوسائط التي ترجع إلى الله

---

(١) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٩٥.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) الزمر: ٢٤.

(٤) البقرة: ٢٨١.

(٥) آل عمران: ١٣١.

عزّوجلّ في نهاية المطاف.

مراتب التقوى

اعــلم انّ مـراتب التـقوى مـختلفة، فلهـا درجـات فأدنـاها هـو تـرك المحرمات وفعل الواجبات، وأعلا منه درجة هو تـرك المكروهـات وفـعل المستحبات، وأعلا منه درجة هو الوصول الى درجة اليقين والرضا والتسليم بجميع تقديرات الله سبحانه وتعالى، كما يشهد له قوله (عليه السلام): «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك»[1].

إذن لا يأتي بشيء من الفعل والترك الا لله فيكون حينئذٍ جميع أفعاله وتروكه لله عز وجل، ومن هنا نرى أنّ الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) يقسّم التقوى إلى ثلاثة أوجه حيث قال (عليه السلام): «التقوى على ثـلاثة أوجه: تقوى بالله في الله: وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة وهو تقوى خاصّ الخاصّ، وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحـرام، وهـو تـقوى الخاصّ، وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام، ومثل التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر، من كل لون وجنس وكل شجرة منها تمصّ الماء من ذلك النهر عـلى قـدر جـوهره وطـعمه ولطـافته وكثافته، ثم منافع الخلق من ذلك الاشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى: (**صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ**

---

(١) بحار الانوار: ج٧٠ص ٢٨٥.

فِي ٱلْأُكُلِ)[١] الآية.

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار، ومثل طبائع الاشجار والثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الايمان، فمن كان أعلا درجة في الايمان وأصفا جوهراً بالروح كان أتقى ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر، ومن كان كذلك كان من الله أقرب، وكل عبادة غير مؤسسة على التقوى فهو هباء منثور، قال الله عزّ وجلّ: **(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)**[٢] الآية، وتفسير التقوى عبارة عن ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عمّا به بأس، وهو في الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود[٣].

ويؤيده أيضاً قوله (عليه السلام): «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك»[٤] كما تقدم.

جوانب التقوى

بما تقدم ظهر لك أن التقوىٰ هي الملاك الوحيد للفضيلة والشرف والكمال وأن كل عمل يكون صادراً عن غير تقوى لا فضيلة فيه كما يشهد له قوله تعالى: **(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اَللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَّنْ**

---

(١) الرعد: ٤.

(٢) التوبة: ١٠٩.

(٣) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ح ٤١.

(٤) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٨٥.

أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)[١]، وقوله تعالى: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ)[٢]، وقوله (عليه السلام): والمتقي محبوب عند كلّ فريق، وفيه جماع كل خير ورشد، وهو ميزان كل علم وحكمة، وأساس كل طاعة مقبولة، والتقوى ما ينفجر من عين المعرفة بالله، يحتاج إليه كلّ فنّ من العلم، وهو لا يحتاج إلاّ إلى تصحيح المعرفة بالخمود، تحت هيبة الله وسلطانه[٣].

كما ظهر لك بأنها لا تختص بجانب دون جانب فكما هي منشأ للفضيلة والكمال في الامور الايجابيّة فهي تكون كذلك في الأمور السلبيّة، ويدل على ذلك قوله تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ)[٤] حيث انّ العدالة لا تختص بجانب الايجابي أو السلبي فقط بل هي شاملة لهما كما يشير اليه قوله (عليه السلام) حينما سئل منه عن أي عمل أفضل قال: التقوى[٥].

وهكذا يدلّ على ذلك قوله (عليه السلام): أمّا بعد، فإنّي أُوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم، إلى أن قال: فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرضى اجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم وضياء سواد

---

(١) التوبة: ١٠٩.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٩٤.

(٤) المائدة: ٨.

(٥) بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٢٨٨، ح ١٦.

ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله شعاراً[١]

التقوى عتق من أسر القيود

قد مر سابقاً ان من أهم قيم الأخلاقيّة التي بها ينال البشر المقام الشامخ وتكون له الفضيلة والكمال إنّما هي التقوى فبها يمتاز الإنسان ويفتخر حيث يكون أكرمهم عند الله، فالتقوى في الحقيقة لا توجب محدودية للانسان كما لا تسلب حريّته بل هي بالعكس كما عرفت ويشهد له قوله (عليه السلام): فان تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كلّ ملكة، ونجاة من كلّ هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب[٢].

آثار التقوى

إذا لاحظنا الأشياء لرأينا بأنّها ذات طابع خاص ولها صفات خاصّة التي بها تمتاز عن سائر الأشياء، فلكل شيء حقيقة وآثار فمن اتقى يظهر أثر تقواه في جميع أحواله وافعاله كما يشهد له قوله (عليه السلام): ان السريرة اذا صحت قويت العلانية[٣].

اذن يقع البحث في صفات المتقين حتى يعلم من هو المتقي في الواقع ؟.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣١٢ ـ ٣١٣، الخطب ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٥١، الخطب ٢٣٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٩٥، ح ١١.

اعلم ان هذا المفهوم الكلي حيث كان مجهولاً عند الاكثر ومن ودّ كل واحد من المؤمنين أن يتّصفوا بهذه الصفة لهذا سألوا الامام (عليه السلام) عن صفات المتقين كما ورد في خطبة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه الخطبة كما تكون مرويّة في نهج البلاغة تكون مرويّة في سائر كتب الأحاديث كالكافي، وبحار الأنوار، ونحوهما، ومن الواضح أن هناك اختلاف فاحش في بعض ألفاظ الخطبة فلهذا رأينا من الأحسن أن نذكرها كما ورد في نهج البلاغة ونشرح ألفاظها شرحاً اجماليّاً موجزاً راجين من الله العلي القدير أن يؤيّدنا لختامه ويجعله ذخراً ليوم لا ينفع مال ولا بنون، ويجعلنا من المتقين المتمسكين بهذه الصفات، العاملين بها آمين يا رب العالمين.

* * *

١٩٣ ـ ومن خطبة له (عليه السلام)

يصف فيها المتقين

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين (عليه السلام) يقال له: همّام كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتّقين حتّى كأنّي أنظر اليهم. فتثاقل (عليه السلام) من جوابه ثمّ قال: يا همّام، اتّق الله وأحْسِنْ: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحسِنُونَ)، فلَم يقنع همام بهذا القول حتّى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال (عليه السلام):

أما بَعدُ، فَإِنَّ الله سُبْحَانه وتعالى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غنيّاً عن طاعَتِهِمْ، آمَناً من مَعْصِيَتهِمْ، لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، ولاَ تَنْفَعُهُ طاعَةُ مَن أطاعَهُ فَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

من هو همّام؟:

همّام كَكَتَّاف: ذكر مولى صالح المازندراني في شرحه على الكافي: هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرّة بن عمرو بن جابر بن عوف الأصهب[١]كما ورد ايضاً في شرح نهج البلاغة لابن ميثم[٢].

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه: هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الاصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مروان بن صفي بن سعد العشيرة[٣].

وقال صاحب أعيان الشيعة: هو همّام بن عبادة بن خثيم ابن أخ الربيع بن خثيم أحد الزهاد الثمانية، ونقل عن ميرزا حسين نوري صاحب مستدركات الوسائل في حاشية رجال أبي علي، ومن خطه نقلت في كنز الكراجكي مسنداً عن يحيى ابن ام الطويل قال: عرضت لي حاجة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستتبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن أخيه همّام بن عبادة بن خثيم، وكان من أصحاب البرانس قال: فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فألقيناه حين خرج يؤم الناس فأفضى ونحن معه الى نفر الى أن قال نوف: فأقبل جندب والربيع فقالا ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين ؟ فتثاقل عن جوابهما فقام همّام بن عبادة فقال: «وذكر الخبر المعروف بطوله» وفي آخره: فصاح همّام بن عبادة صيحة

---

(١) شرح الكافي لمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٣٤.

عظيمة، ووقع مغشيّا عليه فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدنيا رحمة الله علـيه فاستعبر الربيع باكياً وقال: ما أسرع ما اودت موعظتك يا أمير المؤمنين بابن أخي ولوددت لو أنّي بمكانه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، أما والله لقد كنت أخافها عليه إلى أن قال: فصلّىٰ عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) عشيّة ذلك اليوم وشهد جنازته ونحن معه. قال الراوي عن نوف: فصرت إلى الربيع بن خثيم فذكرت له ما حدثني نوف فبكى الربيع حتى كادت نفسه تفيض، وقال: صدق أخي الخبر (انـتهى مـا ذكـره صاحب أعيان الشيعة نقلاً عن النوري رحمه الله)[1].

وفي منهاج البراعة: نقلاً عن البحار والأظهر أنّه همّام بن عبادة بن خثيم ابن أخ الربيع بن خثيم أحد الزهاد الثمانية كما رواه الكراجكي في كنزه[2].

وكيف كان هو من شيعة أمير المؤمنين عـلي بـن أبـي طـالب (عـليه السلام) بل من خواصّه، وكان عابداً، ناسكاً، مجتهداً، كما صرّح بذلك أبو عبد الله (عليه السلام) حيث قال: قام رجل يقال له: همّام، وكـان عـابداً نـاسكاً مجتهداً[3]

وممّا يدلّ على عظمته وجلالة شأنه وزهده وتقواه أنّه صـعق ووقـع صريعاً بمجرد ما سمع من مولاه هذه الخطبة شوقاً إلى الثواب والرضـوان وخوفاً من العقاب والنار.

---

(١) أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ٢٧١.

(٢) منهاج البراعة: ج ١٢، ص ١١٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح ١.

وهمّام: اسم مع المسمّى، أي ذا هِمّة عالية ولهذا نراه بأنّه لم يقنع من مولاه الجواب الموجز وأصرّ عليه بالتفصيل كلّ ذلك لا يكون الاّ للنيل إلى الحقيقة والوصول إلى المقامات العالية، والدرجات السامية حشره الله مع أوليائه وأحبّائه.

تثاقل علي (عليه السلام) عن الجواب

حينما واجه الامام (عليه السلام) سؤال السائل ولاحظ حاله رأىٰ في بادي الأمر أن المصلحة تقتضي تأخير الجواب، إذ قابليّة تأثير الموعظة فيه لمّا كانت كثيرة خاف (عليه السلام) أن تزهق روحه ويقع صريعاً كما صرّح هو (عليه السلام) في آخر خطبته وقال: **«أَمَا وَاللّٰه لَقَدْ كُـنْتُ أُخـاوِفُها عَـلَيْه»** فتأخير الجواب إنّما كان خوفاً على همّام كما صرّح بذلك ابن ميثم «قدس سره» في شرحه[1]، وقال: ابن أبي الحديد: في توجيه تثاقله (عليه السلام) لعله كان حضر المجلس من لا يحبّ أن يجيب وهو حاضر، فلمّا انصرف أجاب، أو لعلّه رأى أنّ تثاقله عن الجواب يشدّ تشوق همّام إلى سماعه فيكن أنجع في موعظته[2].

وكيف كان كما عرفت سابقاً بقرينة ذيل الخطبة أن التأخير في الجواب إنّما كان للخوف على السائل فحسب.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٣٤

اتّقِ اللّهَ وأحْسِنْ:

إشارة الى أنّ الواجب من الأخذ بالتقوى والعمل بها انّما يكون على حسب معرفتها إجمالاً عنده وعند سائر المسلمين، والزائد علـى ذلك، أي تفصيلاً غير واجب والمراد بقوله: «وأحسن» هو الاحسان في العمل، ولعل الجمع بين التقوى والاحسان هو من باب الجمع بين الفقير والمسكين فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فان التقوى كما مرّ مـلكة نفسـانية تشـمل جميع الجوانب ـ الايجابي والسلبي ـ كما ان المراد بالاحسان: فعل ما أمر الله به، وذكر ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: فأمره بتقوى الله: أي في نفسه أن يصيبها فادح بسبب سؤاله، وأحسن: أي أحسـن إليهـا بـترك تكليفهـا فـوق طوقها[1].

حتى عزم عليه:

أي حتّى أقسم عليه وألحّ عـليه فـي السـؤال، فأجـابه الامـام (عـليه السلام) بجواب مفّصل ومهدّه بمقدمة هامّة تنزه الباري عزّ وجلّ عن جميع صفات النقص كما بيّن بأن غرضه سبحانه وتعالى من ايجاد المخلوقات لم يكن تكميلاً لذاته وترفيعاً لمقامه كما يكون هذا غرض كل صانع ومخترع فإنّه غني عن الإطاعة والعبادة كما أنّه مأمون من ضرر المخالفة والمضادّة، والسرّ فيه أنّ الله سبحانه عزّ وجلّ كمال مطلق، وبالضرورة أن صـرف الكمـال لا نقص فيه حتّى يستكمله شيء آخر، بل لا شيء في قباله حتّى يصير مزاحماً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٣.

له فالوجود منه وبه، كما أنّ البقاء أيضاً كذلك وهو الواحد الوحيد فالغاية من الخلق وتقسيم المعاش بينهم وجعلهم في مراتبهم إنّما تؤول الى المخلوقين لأنّ الأوامر التكوينية إنّما تكون لنيل الأشياء الى كمالها، كما أنّ الأوامر التشريعية تكون أيضاً كذلك.

والحاصل: أنّ الفائدة المترتبة من الإطاعة والمعصية إنّما ترجع الى المطيع والعاصي لا إلى الله سبحانه وتعالى كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]

* * *

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الإقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أبْصارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ العلمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ في الْبَلاَءِ كَالَّتي نُزِّلَتْ في الرّخاءِ

فَالْمُتَّقُونَ فيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ:

الفضائل: جمع الفضيلة. وحيث أن الجمع المحلّىٰ باللام يفيد العموم فيدلُّ على ثبوت الفضائل في الذين اتّقوا، وصارت التقوى ملكة نفسانية

---

(١) الاسراء: ٧.

(٢) إبراهيم: ٨.

راسخة ومستمّرة لهم، فالذي قد يتّقي وقد لا يتقي خارج عن الموضوع فلا يليق بحمل الفضائل عليه.

وبما ذكرنا يظهر لك وجه ما تقدم من أن جوانب التقوى مختلفة وأنّه لا وجه لاختصاصها بالجانب السلبي فقط إذ الإتصاف بجميع الفضائل لا يمكن الاّ لكون التقوى عامة شاملة لجميع الجوانب.

والحاصل شرع الامام (عليه السلام) ببيان توصيف المتقين فوصفهم بجميع الفضائل اجمالاً ثمّ شرع بعد ذلك في تفصيلها كما قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: أي الذين استجمعوا الفضائل المتعلّقة باصلاح قوتي العلم والعمل، ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل ونسقها[١].

مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ:

المنطق: أي النطق.

الصواب: اسم مصدر من أصاب السهم اصابة: أي اتجّه ولم يخطىء فهو ضد الخطأ، فمعنى قوله (عليه السلام): «مَنْطِقُهُمُ الصَّوابُ» أي أنّ نطقهم لا خطأ فيه، والخطأ على أنحاء إمّا في نفس الكلام بأن يكون خالياً عن الصحّة والصدق كالكذب والبهتان، وأمّا في النطق به واظهاره كالغيبة والتعيير والتعييب، وكلاهما ممنوعان كما روي في الكافي عن علي (عليه السلام) لا

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٤.

يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده[١].

وهكذا روي عن الصادق (عليه السلام) انه قال في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه[٢].

والحاصل ان المتقين لا يقولون إلاّ ما لا خطأ فيه، وقال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: أنْ لا يسكت عمّا ينبغي أن يقال فيكون مفرّطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرّطاً، بل يضع كلاً من الكلام في موضعه اللائق به[٣].

ولكن الظاهر أنّ نفس النطق موضوع الصواب لا مورد النطق، لعلّه لذلك قال في بحار الانوار: لا يتكلّمون إلاّ في مقام التكّلم كذكر الله تعالى وإظهار حقّ وإبطال باطل، وكأن الابتداء بالمنطق لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح[٤].

وَمَلْبَسُهُمُ الإقْتِصَادُ:

الملبَسْ بفتح الباء: ما يلبس.

الاقتصاد: التوسط بين طرفي الافراط والتفريط.

فقوله: «من اقتصد في النفقة» أي توسط بين الافراط والتقتير، وذكر

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠، ح ١١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١١٦، ح ٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

العلامة المجلسي «قدس سره»: والمعنى أنّهم لا يلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين ولا ما يلحقهم بأهل الخسّة والدناءة، أو يصير سبباً لشهرتهم بالزهد كما هو دأب المتصوّفين[1]، فما ذكره العلامة المجلسي «قدس سره» هو الصحيح كما يشهد له عدة من الروايات:

منها: ما روي عن حمّاد بن عثمان أنّه قال كنت حاضراً لأبي عبد الله (عليه السلام) إذ قال له رجل: أصلحك الله ذكرت أنَّ علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن، ويلبس القميص بأربعة دراهم، وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجيّد؟ قال: فقال له: إنّ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله غيرَ أن قائمنا إذا قام لبس لباس علي وسار بسيرته[2].

منها: ما روي أنّ عاصم بن زياد قال: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك إنّ الله عزّ وجلّ فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس[3] كيلا يتبيّغ[4] بالفقير فقره[5].

وبالجملة لا بأس في لبس الألبسة الفاخرة فيما إذا كانت من ألبسة

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٣٤٨، ح ٧.

(٣) أي يقاسون أنفسهم بهم.

(٤) أي يهيّج.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٤١٩، ح ١.

العصر الحاضر، ولا يورث لبسها التكبّر والفخر فإنه إفراط وفيما إذا لم يكن لبسها مورثاً للشهرة، فانه تفريط.

وذكر العلامة المجلسي «قدس سره»: احتمالاً آخراً وهو: أنّ الاقتصاد في الأقوال والأفعال صار شعاراً لهم، محيطاً بهم، كاللباس للانسان[1].

وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ:

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه: تقديره: وصفة مشيهم التواضع، فحذف المضاف، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: **﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾**[2][3].

وقال العلامة المجلسي «قدس سره»: أي لا يمشون مشي المختالين والمتكبّرين كما قال عزّ وجلّ: **﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾**[4][5]، أو أن المراد أن سيرتهم وسلوكهم بين الخلق، أو في سبيل الله بالتواضع والتذليل[6].

اعلم أنّ التكبّر ضدّ التواضع فالمتكبر يرى نفسه بالنسبة إلى غيره كبيراً

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣١٩.

(٢) لقمان: ١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٤١.

(٤) المرح: كفرح وزناً ومعنى، وقيل: هو أشد من الفرح، وفي صدر الآية: «لا تصعّر خدك للناس» اي لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً.

(٥) الإسراء: ٣٧.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣١٩.

عظيماً ويرى غيره أقلّ منه، والفرق بينه وبين العجب واضح، إذ ليس في العجب إضافة نسبيّة إلى غيره بخلاف التكبّر، ومن آثار التكبّر الترفّع عن مؤاكلة الغير ومجالسته والاستنكاف عن مرافقته ومصاحبته ونحوها، وقد عدّه الإمام الرضا (عليه السلام) في عداد الكبائر حيث قال في بيان الكبائر: هي قتل النفس التي حرّم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين إلىٰ أن قال: والكذب والكبر[١]... الحديث.

واما التواضع: فقد ندب إليه العباد بقوله: **(وَعِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذِيْنَ يَمْشُوْنَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ هَوْناً[٢] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلجَاهِلُوْنَ قَالُوْا سَلاماً[٣])**[٤].

وورد في الأخبار عن الأئمة المعصومين (عليه السلام) الأمر بالتواضع وحبّ الفقراء والمساكين والمستضعفين في الارض من المسلمين كما ورد عن الصادق (عليه السلام): عليكم بحبّ المساكين المسلمين فان من حقّرهم وتكبّر عليهم فقد زلّ[٥] عن دين الله والله له حاقر ماقت[٦].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) الهون: التذلل والترفق.

(٣) سلاماً: أي قولاً سالماً عن اللغو والاثم.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) زلّ عن الحق: أي انحرف.

(٦) تحف العقول: ص ٢٣٢.

الله، وإنّ العفو يزيد صاحبه عزّاً فاعفوا يعزّكم الله[١].

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ:

غضّ الرجل صوته وطرفه، ومن طرفه ومن صوتَه غضّاً من باب قتل: خفض، ومنه يقال: «غضّ» من فلان.

فغضوا أبصارهم: أي المتقين يكفّون النظر عمّا حرّم الله تعالى، وهذا الكفّ أمر مهم في حفظ الإنسان عن المهالك فإنّ كثيراً ممّن ابتلي بالمفاسد الشهويّة وغيرها ابتلوا بها من هذه الناحية ويكفيك قول الامام الصادق (عليه السلام): النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفىٰ بها لصاحبها فتنة[٢].

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): إيّاكم والنظر فانّه سهم من سهام ابليس[٣].

فالمستفاد منه هو أنّ النظر إلى الحرام هو في الحقيقة سهم من ناحية الشيطان إلى الناظر، ويؤثّر فيه أثره الخاص، وهو الهبوط عن مقام التقرّب والزلفىٰ إلى الله سبحانه عزّ وجلّ، والاشتغال بأُمور لا يليق بحال المتّقين، ومن أعرض عنها يجد آثارها في الحياة الدنيا حيث لا يعتني بوساوس الشيطان، ولا يقع في ورطة المهالك وهكذا يجد آثارها في الحياة الآخرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين، عين

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٢١، باب التواضع، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ١٣٩، ح ٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٦٠، ح ٩.

بكت من خشية الله، وعين غضّت من محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله[١].

وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ:

قال العلامة المجلسي «قدس سره»: ووقفت: كضربت أي دمت قائماً، إلى أن قال: ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً: أي منعته عنه، ووقفت الدار وقفاً: أي حبستها في سبيل الله، والمراد الاقتصار على استماع العلم النافع، وفيه إيماء إلى ذمّ الإصغاء إلى القصص الكاذبة، بل وكثير من الصادقة[٢].

اذن العلم النافع هو المطلوب، فالنفع الحاصل من السماع بموجب العلوم والفنون المتنوعة جائز دون ما يضره كالإستماع إلى الأغاني والموسيقىٰ، والاشتغال بالملاهي ونحو ذلك، والعلوم النافعة علىٰ أنحاء كما يلي:

منها: الواجبات العينيّة: كالمعارف الالهيّة الاعتقادية التي هي من أهم الواجبات، ومقدمة على سائر العلوم النافعة، وقد صرّح بذلك الشهيد «قدس سره» في منية المريد حيث قال: أمّا المعرفة بالله تعالى وما يتبعه فلا يتوقف أصل تحققّه على شيء من العلوم، بل يكفي فيه مجرّد النظر، وهو أمر عقلي يجب على كلّ مكلّف، وهو أوّل الواجبات بالذات[٣] ونحو ذلك معرفة

---

(١) نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٨٩، ح ٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣١٩.

(٣) منية المريد: ص ١٩٦.

الاحكام الشرعية التي هي مورداً للابتلاء بها.

ثم معرفة الصفات الحميدة التي يجب العمل بها وهكذا معرفة الصفات المذمومة التي يجب التجنّب عنها كالكبر والحسد والكذب والبهتان ونحو ذلك.

اذن هذه الأُمور التي يجب تعلّمها عيناً فهي مقدّمة على غيرها وواجبة على كل فرد فرد من أفراد المسلمين كما يشهد له قوله (صلى الله عليه وآله): طلب العلم فريضة على كل مسلم[١].

وكلمة مسلم في هذه الرواية لا تختص بالرجال فحسب بل هي شاملة للاناث أيضاً ككلمة المؤمنون في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)[٢] هذا مضافاً إلى أنّه ورد في بعض النسخ كلمة مسلمة بعد لفظ مسلم.

ومنها: الواجبات الكفائيّة: كالفقه والتفسير والطبّ والصنائع ونحوها التي يحتاج الانسان إليه في حياته ومعاشرته من الأُمور الدنيويّة والأُخرويّة ويشهد له قوله (صلى الله عليه وآله): اطلبوا العلم ولو بالصين[٣].

ومنها: الأُمور المستحبّة من العلوم النافعة التي تزيد في تكميل النفوس وترفيع المجتمع الاسلامي.

والحاصل ان اللازم هو اكتساب العلوم النافعة مع مراعاة الترتيب كما عرفت، والاجتناب عمّا لا فائدة فيه فضلاً عمّا يضرّه، وهذا يختلف بحسب

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٣١، ح ٥.

(٢) المؤمنون: ١.

(٣) عوالي اللئالي: ج ٤، ص ٧٠.

اختلاف العصور واحتياج المسلمين إليه دفعاً للسلطة الجبّارة من قبل الدول العظمى غربيّة كانت أو شرقيّة قال الله تعالى: **(وَلَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلَىٰ ٱلمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلاً)**[1].

فعلى المسلمين في جميع الأزمان أن يقدّموا على تعلّم جميع العلوم والفنون التي توجب صيانتهم في قبال أعدائهم ردعاً عن الوهن والذلّة.

نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي البَلاَءِ كَالَّتِي ـ كالذي ـ نُـزِّلَتْ فِـي ٱلرَّخَاءِ:

نزله أي صيّره نازلاً، والمعنى انّهم صاروا نازلين في البلاء كنزولهم في الرخاء.

قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: أي لا تقنط من بلاء ينزل بها، ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين مقام الشكر[2].

وقال بعض الأجلّة: أي لا يضعف ولا يجبن على الشدّة ولا يضطرب منها، بل يكون شجاعاً يقدم عليها ويتقبّلها بقبولٍ حَسَنٍ، ولا يبطر: أي لا يطغي ولا يتكبّر بالرخاء وكثرة النعمة بل يشكر عليه، فمقامه في الحالين مقام الصبر والشكر[3].

وقال القطب الراوندي «رحمه الله» أي أنّ المتقين يُتعِبُون أبدانهم في

---

(١) النساء: ١٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٥.

(٣) شرح أصول الكافي للمولى صاح المازندراني: ج ٩، ص ١٤١.

الطاعات فيطيبون نفساً بتلك المشقّة التي يحتملونها، مثل طيب القلب الذي نزلت نفسه في الرخاء[١].

وفي منهاج البراعة: أي أنّهم موطنون أنفسهم على ما قدره الله في حقهم من الشدّة والرّخاء والسرّاء، والضـرّاء، والضـيق، والسـعة، والمـنحة، والمحنة، ومحصّله وصفهم بالرضاء بالقضاء[٢].

كما يشهد له ما ورد في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن ؟ قال (عليه السلام): بالتسليم لله، والرضا فيما ورد عليه من سرور او سخط[٣].

وفي رواية أخرى عنه (عليه السـلام) قـال: رأس طـاعة اللـه الصـبر، والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أوكره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلاكان خيراً له فيما أحبّ أوكره[٤].

وفي الكافي: عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه (عليه السلام) قال: رفع[٥] إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوم في بعض غزواته فقال: من القوم ؟ فقالوا: مؤمنون يا رسول الله، قال: وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا: الصبر عـند

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣١٩.

(٢) منهاج البراعة: ج ١٢، ص ١١٨.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٢، ح ١٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٠، ح ١.

(٥) رفع: اما على بناء المعلوم: أي أسرعوا اليه، وإما على بناء المجهول: أي أظهروا، فان الرفع ملزوم الظهور.

البلاء، والشكر عند الرخاء، والرّضا بالقضاء، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حلماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء، إن كنتم كما تصفون، فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون[1].

وفي الكافي أيضاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لقى الحسن بن علي (عليه السلام) عبد الله بن جعفر فقال: يا عبد الله كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه[2] ويحقّر منزلته، والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس[3] في قلبه إلا الرّضا أن يدعو الله فيستجاب له[4].

فالمستفاد ممّا تقدم هو أن من علم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان لتحصيل الكمال والمعنويات جدير بأن لا يركن اليها ولا يغترّ بلذاتها وشهواتها ولا يفرح بمزاياها لأنها سرعان ما تزول ولا تبقىٰ أثرها فالمهم ان ينتفع الانسان بهذه النعم لكسب الفضائل والنيل إلى أعلى درجات المتقين فلا يجزع من تغير الاحوال والابتلاء بالفقر والمرض والشدة والضراء بل ينبغي ان يستقبل تلك الأُمور باستقبال حسن ويجتنب عن الجزع واظهار الكراهة فمن يكون كذلك فهذا هو الذي نزل نفسه في البلاء كالذي نزل في الرخاء.

* * *

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨، ح ٤.

(٢) القسم بالكسر: الحظ والنصيب.

(٣) هجس الشيء في صدره يهجس خطر بباله أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٢، ح ١١.

وَلَوْلاَ ٱلأَجَلُ الَّذي كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَىٰ الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ.

وَلَوْلاَ الأَجلُ الذَّي كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ:

أي إنهم من شدّة شوقهم إلى الجنّة ومن شدّة خوفهم من النّار تكاد أرواحهم أن تفارق أجسادهم، ولولا أنّ الله تعالى ضرب لهم آجالاً ينتهون إليها.

طَرْفَةَ عَيْنٍ:

الطرفة: المرّة من طَرَفَ وهو اطباق أحد جفنيه على الآخر. وهذه الحالة تختصّ بأولياء الله تعالى كما يشهد له ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعفى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأُمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله ؟ قال: إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً[1]، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقرّ[2]

---

(١) وفي بعض النسخ ـ فكراً ـ

(٢) وفي بعض النسخ ـ لم تستقر ـ

أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب[١].

ولعل همّاماً كان من أولياء الله كما يشهد له ذيل الخطبة: «على انه لم يستقرّ روحه في جسده خوفاً وشوقاً» كما ستعرفه انشاء الله.

ولقد أفاد وأجاد ابن ميثم «قدس سره» حيث قال: وهذا الشوق والخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكة فإنّه يستلزم دوام الجدّ في العمل والإعراض عن الدنيا، ومبدؤهما تصور عظمة الخالق، وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعده ووعيده، وبحسب قوّة ذلك التصور تكون قوّة الخوف والرجاء، وهما بابان عظيمان للجنّة[٢].

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ:

من الواضح جداً انّ عظمة الخالق مع عظمة المخلوق تكون من الأضداد التي لا تجتمعان أبداً، فإذا استقرت عظمة الخالق في قلوبهم واطمأنّوا بها فلا يبقى مجال لاستقرار عظمة المخلوق أبداً ولهذا يصغر ما دون الخالق في أعينهم.

قال ابن ميثم «قدس سره»: وذلك بحسب الجواذب الإلهية إلىٰ الاستغراق في معرفته ومحبّته، وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصوّر العظمة وبحسب تصوّر عظمته تعالى يكون تصورّهم لأصغريّة

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٥.

ما دونه ونسبته اليه في أعين بصائرهم[١].

فمن عظم الخالق عنده لا يحب الدنيا وما فيها ولا يقع في المعصية، اذ حب الدنيا رأس كل خطيئة[٢] كما ورد في الحديث، وينجو من إطاعة الطواغيت والظلمة وهكذا، بل ينظر الى رحمة ربه ويعمل بما يرضيه.

ثم ان عظمته تعالى تكون من جهات عديدة لا يمكن احصاؤها أبداً، ألا ترى بأنه أوجد الخلق بعظمته بعد ماكان معدوماً وعامل مع خلقه بعظمته حيث كافأهم بالحسنة عشرة أضعاف وبالسيئة مثلها كما قال الله تعالى: ﴿**مَنْ جَآءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَآءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ**﴾[٣] ويقبل التوبة من عباده كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾[٤] ولا يحجب عن عباده بل هو أقرب إليه من حبل الوريد كقوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيْدِ**﴾[٥] ويدعوهم إلى الابتهال والتضرّع والدعاء إليه كما وعدهم الاستجابة لهم كما قال تعالى: ﴿**أُدْعُوني أسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٦] ويدعونه في كل مكان وزمان من دون حاجة إلى الوسائط، ولا يشغله شيء عن شيء وجعل لهم مساجد يذكر فيها اسم الله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٣١، ح ١١.

(٣) الانعام: ١٦٠.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) قٓ: ١٦.

(٦) غافر: ٦٥.

يدخلونها من دون حاجة إلىٰ الإذن والمقدمات كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1] وله الامر والحكم في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[3] يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4] ويرزق ولا يُرزق ويطعم ولا يُطعَم ولم يكن له ولي من الذلّ وكبّره تكبيراً، كقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾[5] وليس له مماثل يعادله كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[6] بل هو أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وقال سيد السجادين وزين العابدين (عليه السلام) في صحيفته يامن لا تنقضي عجائب عظمته صل على محمد وآله واحْجُبنا عن الإلحاد في عظمتك، ويا من لا تَنْتَهي مدة ملكه صل على محمد وآله[7].

* * *

---

(١) الاعراف: ٢٩.

(٢) الاعراف: ٥٤.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) آل عمران: ١٥٦.

(٥) الانعام: ١٤.

(٦) الاخلاص: ٤.

(٧) الصحيفة السجادية: الدعاء الخامس.

فَهُمْ والجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأمُونَةٌ، وأجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفيفَةٌ. صَبَرُوا أيَّاماً قَصِيرةً أعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً.

فَهُمْ وَالجنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا:

قال ابن أبي الحديد في شرحه: وصاروا لشدّة يقينهم ومكاشفتهم، كمن رأى الجنّة فهو يتنعّم فيها، وكمن رأى النار وهو يعذّب فيها، ولا ريب أن من يشاهد هاتين الحالتين، يكون على قدم عظيمة من العبادة والخوف والرجاء، وهذا مقام جليل ومثله قوله (عليه السلام) في حق نفسه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً». والواو في «والجنّة» واو «مع» ، وقد روي بالعطف بالرفع على أنّه معطوف على «هم» والأوّل أحسن[1].

والمعنى على النصب: انّهم مع ملاحظة الجنّة والنار كانوا كمن رآها وتنعّم فيها أو تعذّب بها وعلى الرفع ان منزلتهم والجنّة كمنزلة من رآها وتنعّم فيها والمقصود واحد، وإذا لاحظنا التاريخ وقرأنا حياة أصحاب رسول الله لرأينا أنّ الذي نال هذه المنزلة هو حارثة بن مالك حيث قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف أنت يا حارثة بن مالك ؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، واليك الحديث بتمامه روي في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: استقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حارثة بن مالك بن النعمان

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٤٢.

الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك ؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقّاً، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري[١] وكأني أنظر إلى عرش ربي -و- قد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وكأنّي أسمع عواء[٢] أهل النار في النار فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فاثبت، فقال: يا رسول الله أُدع الله أن يرزقني الشهادة معك، فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة فلم يلبث إلا أيّاماً حتّى بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سرّية فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة - أو ثمانية - ثم قُتل[٣].

وفي رواية القاسم بن مؤيّد، عن أبي بصير قال: استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[٤].

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ:

إنّ حزن قلوبهم لا يكون إلاّ للخوف من العقاب لاحتمال التقصير في أداء التكليف وعدم حصول شرائط القبول كما أشار إليه سبحانه عزّ وجلّ في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

---

(١) الهواجر: جمع الهاجرة وهي نصف النهار في القيظ، أو عند زوال الشمس إلى العصر.

(٢) العُواء بضم العين: الصياح.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٣.

رَاجِعُونَ)[١].

وقال العلامة الطباطبائي في تفسيره: والمعنى والذين ينفقون ما أنفقوا، أو يأتون بالأعمال الصالحة والحال أنّ قلوبهم خائفة من أنّهم سيرجعون الى ربّهم[٢].

ثم ان هذا الحزن منحصر بذلك ، وأما بالنسبة الى غير ذلك من الامور فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما نصّ عليه في قوله تعالى: **(أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّه ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)**[٣].

ولقد افاد وأجاد العلامة الطباطبائي في تفسيره حيث قال: «انّ توصيفه أهل هذا الإيمان بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» يدلّ على أنّ المراد منه الدرجة العالية من الإيمان الذي يتمّ معه معنىٰ العبودية والمملوكيّة المحضة للعبد الذي يرى معه انّ الملك لله وحده لا شريك له وأن ليس إليه من الأمر شيء حتّى يخاف فوته أو يحزن لفقده.

وذلك أن الخوف إنّما يعرض للنفس عن توقّع ضرر يعود اليها، والحزن إنّما يطرأ عليها لفقد ما تحبّه أو تحقّق ما تكرهه ممّا يعود إليها نفعه أو ضرره، ولا يستقيم تحقّق ذلك إلّا فيما يرى الإنسان لنفسه ملكاً أو حقّاً متعلّقاً بما

---

(١) المؤمنون: ٦٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥، ص ٤١.

(٣) يونس: ٦٢ ـ ٦٤.

يخاف عليه أو يحزن لفقده من ولد، أو مال، أو جاه، أو غير ذلك، وأمّا ما لا علقة للانسان به بوجه من الوجوه أصلاً فلا يخاف الانسان عليه ولا يحزن لفقده البتّة إلىٰ أن قال: فهؤلاء لا يخافون شيئاً ولا يحزنون في شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة الاّ أن يشاء الله وقد شاء الله أن يخافوا من ربهم وأن يحزنوا لما فاتهم من كرامته إن فاتهم و هذا كلّه من التسليم لله فافهم ذلك[١].

ثم اعلم: ان الخوف انما يستمّر للمتقين ما داموا باقين في الحياة الدنيا أي يستمر الخوف لهم إلى حين الموت. وأما بعد الممات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقوله تعالي: (إِنَّ ٱلَّذِيْنَ قَالُوْاْ رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْاْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاٰئِكَةَ أَلَّا تَخَافُوْاْ وَلَا تَحْزَنُوْاْ وَأَبْشِرُوْاْ بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُوْنَ)[٢].

وقال العلامة الطباطبائي في تفسيره فيه دلالة على أنّ تنزلهم بهذه البشرى عليهم إنّما هو بعد الحياة الدنيا[٣].

ولقوله تعالى: (وَيُنَجِّي ٱللّٰهُ ٱلَّذِيْنَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَاْ يَمَسُّهُمُ السُّوَءُ وَلَاْ هُمْ يَحْزَنُوْنَ)[٤].

وَشُرُورُهُمْ مَأمُوْنَة، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَة:

قال العلامة المجلسي «قدس سره»: الامن من شرورهم لأنم لا يهتمّون

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٩٠.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٧، ص ٤١٥.

(٤) الزمر: ٦١.

بظلم أحد كما ورد في الخبر: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

«نحيفة»: أي مهزولة لكثرة الصيام والسهر والرياضات، أو للخوف أو لهما وخفّة حاجاتهم لقلّة الرغبة في الدنيا، وترك اتباع الهوى، وقصر الأمل وقناعتهم بما رزقهم الله.

«والعفة» كف النفس عن المحرّمات بل عن الشبهات والمكروهات أيضاً[١].

وقال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: وملكة العفة: فضيلة القوّة الشهويّة، وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور[٢].

هذه الصفات كلها ناشئة من قوّة الايمان في قلوبهم، فمن عظّم الخالق في نفسه وعلم بالآخرة حقّ المعرفة كمن رآها بالضرورة يكف عن المعصية والمخالفة والشرور وايذاء المسلمين والطرب بل يكفّ عن الرغبة في الدنيا، وعن الاقتحام في الشهوات كما يشهد له قوله (عليه السلام): «ألا ومن اشتاق الجنّة سلا[٣] عن الشهوات، ومن أشفق من النّار رجع عن المحرمات[٤]».

ثمّ لا يتوهّم بأنّ كل من كان سميناً فهو ليس من المتّقين أو بالعكس فكُل من كان مهزولاً وضعيفاً فهو من المتّقين.

وذلك لما عرفت سابقاً من بيان مفهوم التقوى بأنّها عبارة عن صفة

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٦.

(٣) سلا عن الشهوات: أي نسيها.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١٣٢، ح ١٥.

وملكة راسخة في النفس تصدّها عن الوقوع في الخطأ فمن توفرت له هذه الصفات فهو من المتقين سواء كان سميناً أو ضعيفاً ومن لم يتوفر له ذلك فهو ليس من المتقين وان كان ضعيفاً لاختلاف الأمزجة واستعدادها للسمن والهزال فإذا كان المزاج مستعداً ومقتضياً للسمانة فيسمن الانسان ولو كان مقتصداً في الشرب والأكل، وهكذا بالعكس فيهزل ولو كان أكولاً ومُفرطاً في الأكل والشرب، اذن الملاك هو ثبوت الملكة وعدم ثبوتها في حصول التقوى وعدمها.

نعم مراعاة صحة الجسم وتقويته بالمقدار اللازم بقصد القيام على اتيان الواجبات، والعمل في جميع شؤونات الحياة من الخدمات الاجتماعية وغيرها تكون عين التقوى.

صَبَرُوا أَيّاماً قَصِيرَةً:

الصبر: هو حبس النفس عن الجزع.

وذكر ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: ان الصبر: مقاومة النفس الأمّارة بالسوء لئلا ينقاد إلى قبائح اللذات[1] فالصبر: من المفاهيم العامة التي لها قيم أخلاقية ويشير إليه ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية[2].

ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي جعفر (عليه السلام): قال: الجنّة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٩١، ح ١٥.

محفوفة[١] بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات فمن أعطىٰ نفسه لذتها وشهوتها دخل النار[٢].

* * *

تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهَمْ، تَالِينَ لأَجْزاءِ الْقُرآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْها طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولَ آذَانِهِمْ.

تِجارَةٌ مُرْبِحَةٌ:

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أي تجارتهم تجارة مربحة فحذف المبتدأ، وروي: «تجارةً مربحةً» بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل[٣].

وفي بحار الانوار: تجارة: عطف بيان للراحة، أو بدل منه، أو منصوب

---

(١) حفّه بالشيء كمدّه: أحاط به.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٨٩ ـ ٩٠، ح ٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٤٢.

على المدح، أو على الحال، أو على تقدير فعل، أي اتّجروا تجارة[١].

أَرَادَتهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا:

قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم: اشارة الى الزهد الحقيقي، وهو ملكة تحت العفّة، وكنّى بإرادتها عن كونهم أهلاً لأن يكونوا فيها رؤساءاً أو أشرافاً كقضاة ووزراء ونحو ذلك، وكونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها، ويحتمل أن يريد أرادهم أهل الدنيا فحذف المضاف[٢] وفيه نظر اذ التقدير خلاف الاصل.

وقال العلاّمة المجلسي «قدس سره»: أي أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة مطلقاً، وتمكّنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه، فلم يقبلوها ولم يسعوا في تحصيلها[٣].

وَأَسَرَّتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْها:

قال العلاّمة المجلسي «قدس سره»: فأما أسرها إيّاهم فلأنّ أرواح الأولياء قدسيّة ومقامها في العالم الجسَد: أي على خلاف مقتضى طبيعتها، فهي غريبة في هذا العالم وصغوها بالكلّية الى عالمها فهي أسيرة هنا من حيث الغربة، وعدم الملاءمة، فدائماً يستعدّ ويتهيّأ للسفر الحقيقي، ويزيل

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٢.

المثبطات ويرفعها من البين وذلك فداؤها[١].

وقال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: إشارة إلى أن من تركها وزهد فيها بعد الإنهماك فيها والإستماع بها فقد فك بذلك الترك والاعراض والتمرّن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه[٢].

ويمكن أن يقال: إنّ الإنسان بعد ما كان ذا ميول مختلفة يقتضي ذلك أسره، فالمتّقين يفكّون أنفسهم من أغلالها بتسليط العقل والشرع عليها وجعلها في حد وسط لا افراط ولا تفريط فيه وعليه فلا يلزم أن يكون ترك الدنيا والزهد فيها بعد الانهماك في الدنيا كما ذهب إليه ابن ميثم «قدس سره».

وكيف كان «ففدوا أنفسهم منها»: أي استنقذوا أنفسهم من الدنيا.

أَمّا اللَّيْلَ فَصَافُّوْنَ أَقْدَامَهُمْ:

قال العلاّمة المجلسي «قدس سره»: في بعض النسخ بالنصب على حذف حرف الجر، أي أمّا حالهم في الليل، فالمقصود تفصيل حالهم في الليل والنهار، وفي بعض النسخ بالرفع، فالغرض تفصيل حال ليلهم ونهارهم.

والصف: ترتيب الجمع على صف، وصف القدمين وضعهما في الصلاة بحيث يتحاذى الإبهامان ويتساوىٰ البعد بين الصدر والعقب[٣].

فهذا كناية عن قيامهم للصلاة مع تلاوة القرآن، ومن المعلوم أنّ قراءة

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٧.

(٣) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

القرآن في حال الصلاة من أفضل أنواع القراءة كما تدلّ عليه أخبار كثيرة منها: ما روي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله له بكل حرر ماءة حسنة، ومن قرأه في صلاته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأه في غير صلاته كتب الله له بكل حرف عشر حسنات[1].

تَالِينِ لِأَجْزاءِ ٱلْقُرآنِ:

ان البيوت التي يتلىٰ فيها القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض وتكثر بركته وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، كما ورد في الكافي عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله عزّ وجلّ فيه، تقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين[2].

يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً:

قال في مجمع البحرين: الترتيل في القرآن: التأنّيَ وتبيّن الحروف

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦١١، ح ١، باب ثواب قراءة القرآن.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦١٠، ح ٣، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.

بحيث يتمكّن السامع من عدّها[١].

وفي مصباح المنير: ورتلت القرآن ترتيلاً: تمهلت في القراءة ولم اعجل[٢].

وفي بحار الانوار: «يرتلونه» أي القرآن، وروي «يرتلونها» فالضمير لاجزاء القرآن، ورتل القرآن ترتيلاً: أي أحسن تأليفه، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنّه حفظ الوقوف، وأدار الحروف، وهو جامع لما يعتبره القراء[٣].

وفي الكافي عن عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَتِّلْ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٤] قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بينه تبياناً ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة[٥].

وفي مجمع البيان عن الصادق (عليه السلام): الترتيل: هو أن تتمكّث فيه وتحسن به صوتك، واذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فاسأل الله الجنّة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار[٦].

---

(١) مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٧٨.

(٢) المصباح المنير: ص ٢١٨.

(٣) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٣.

(٤) المزمل: ٤.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ١، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

(٦) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

ونحو ذلك ورد في مجمع البحرين فراجع[١].

والمكث: هو اللّبث والانتظار، فقوله (عليه السلام) «أن تمكث فيه» أي لم تعجل فيه وتنتظر[٢].

يُحزِّنُونَ بِهِ أَنفُسَهُمْ:

قال العلامة المجلسي «قدس سره» الحزن: الهَم وَحَزَنَهُ الأمر كَنَصَرَ: أي جعله حزيناً، وَحَزَنَ كَعَلِمَ أي: صار حزيناً، وحَزَّنَهُ تحزيناً: جعل فيه حزناً... وتحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهرٌ، وأمّا آيات الوعد فللخوف من الحرمان وعدم الاستعداد[٣].

وكيف كان يحزنون به أنفسهم أي يقرؤونه بصوت حزين وقد ورد في الكافي عن ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:ان القرآن نزل بالحزن فاقرؤه بالحزن[٤].

وفيه ايضاً عن حفص قال: فما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (عليه السلام) ولا ارجئ الناس منه، وكانت قراءته حزناً، فاذا قرأ فكأنه يخاطب انساناً[٥].

---

(١) مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٧٨.

(٢) مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٢، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١٠، باب فضل حامل القرآن.

وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ:

إستثار: مأخوذ إمّا من ثار يثور الغبار: أي ارتفع أو من ثار يثور الجراد: أي ظهر، فالمراد إنّهم يظهرون بالقرآن دواء دائهم.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: ويستثيرون به دواء دائهم: اشارة إلى البكاء، فانّه دواء داء الحزين[1].

ان كان مراده اختصاص الدواء بالبكاء ففيه ما لا يخفىٰ، ولهذا قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: كل فضيلة حث القرآن عليها فهي دواء لما يضادّها من الرذائل[2].

وأمّا توهّم عود الضمير في قوله: «ويستثيرون به» الى التحزين فيناسب أن يكون الدواء المثار به هو البكاء.

ففيه ان الضمير عائد الى القرآن وتلاوته كما في الفقرة السابقة ايضاً حيث قال: «يحزنون به أنفسهم».

وحكى العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه» عن والده أن المراد أنهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الذي كاد أن يبلغ حدّ الاغترار والأمن لمكر الله، وبآيات الرجاء داء الخوف اذا قرب من القنوط، وبما يستكمل اليقين داء الشبهة، وبالعبَرْ داء القسوة، وبما ينفرّ عن الدنيا والميل اليها داء والرغبة فيها ونحو ذلك[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٧.

(٣) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٣.

فَإذا مَرّوا بآيَةٍ فِيها تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إليها طَمَعاً:

أي تشويق إلى الجنة «ركنوا» اي مالوا واشتاقوا إليها، ركن إلىٰ الشيء: أي مال وسكن، واعتمد عليه.

وَتطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إلَيْهَا شَوْقاً:

التطلع إلىٰ الشيء: أي الاستشراف والانتظار لوروده.

وَظَنُّو أَنَّها نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ:

نصب أعينهم: منصوب على الظرفية، والمعنى أنهم ايقنوا ان الجنة معدّة لهم بين أيديهم.

وَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ:

من النار وعذابها وشدائدها.

أصْغَوا إلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ:

اصغى الى الكلام: مال إليه بِسمعِهِ.

وَظَنُّواْ أنّ زَفِيرُ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا في اصُولِ آذَانِهِمْ:

أي صوت توقّدها ثابتة ومتمكّنة في اصول آذانهم.

* * *

فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وأطرَافِ أقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إلىٰ اللّٰهِ تَعَالىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أبْرَارٌ أتقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرَضَىٰ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَض، وَيَقوُلُ: لَقَدْ خُولِطُوا، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أمْرٌ عَظِيمٌ

حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ:

حنيت العود: عطفته، والمراد من حانون على أوساطهم: يعني أنّهم حانون ظهورهم على أوساطهم فإنّه (عليه السلام) يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة كما وصف حال سجودهم بقوله: «مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم».

يَطْلبُونَ إلىٰ اللّٰهَ تَعَالىٰ في فَكَاكِ رَقَابِهِمْ:

أي يسألونه راغبين ومتوجهين إليه وهذا إشارة إلى أن الغاية من عبادتهم هي فكاك رقابهم من النار أو من البعد عن ساحة الربوبيّة، أو من الإسارة عن الأهواء والشهوات والميول النفسانيّة.

ولعلّ الوجه الأول هو الأقرب، مع إحتمال صحّة احتمال الآخرين لأنّ الغاية بحسب اختلاف درجات المتّقين مختلفة.

وكيف كان فلا يطلبون في عباداتهم غير الأمور الأُخروية لأنّه أمر مهم عندهم، والغرض الاقصى هو النجاة عن البعد عن ساحة المقام الربوبي.

هذا واختصاص الليل بالصلاة فلكونها أوْلىٰ بها من النهار لفراغة الانسان فيها، وقلّة الموانع في الليل كما لا يخفىٰ

وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أبْرَارٌ أتْقِياءٌ:

قال العلاّمة المجلسي «قدس سره»: أمّا النهار انتصابه على الظرفيّة، وتعلّقه بما بعده من الصفات كحلماء وغيره، وحلماء خبر مبتدأ محذوف، أي

فهم حلماء في النهار، ويجوز فيه الرفع على تقدير، «أمّا النهار فهم حلماء فيه» فيكون مبتدأ، والجملة بعده خبره، وفيها ضمير مقدّر يعود إليه[1].

وقال بعض الأجلّة: إنّ القوّة الغضبيّة هي التي من شأنها الاخذ والبطش والطغيان والترفع والتسلّط والغلبة على الأقران حتى حصلت له بذلك ملكة الحلم المقتضية للصفح والستر والعفو والاناة[2] والحنان والاستكانة[3].

وعليه فالحلم أخص من الصبر لاختصاصه بتبديل القوّة الغضبيّة دون الصبر فانّه أعم منه اذا الصبر إمّا على الطاعة، وإمّا على المعصية، وإمّا على النائبة كما عرفت.

والأبرار: جمع البر بفتح الباء، أي الصالح المحسن.

والأتقياء: جمع التقي، ولعلّ اجتماعه مع الأبرار يوجب اختصاصه بالجانب السلبي لأنهما كالفقير والمسكين فاذا اجتمعا افترقا ولعلّه لذلك قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: والمراد بالتقوى هاهنا: الخوف من الله[4].

بَرْيَ الْقِدَاحِ:

القداح: جمع قدح بالكسر، وهو السهم قبل أن يراش، أي قبل أن يلزق عليه الريش، وبراه: نحته، أي رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٤.

(٢) الاناة: أي الوقار.

(٣) شرح اصول الكافي للمولىٰ صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٣١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٨.

بالنحت[١].

وقال العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه»: وبرى السهم يبريه: أي نحته، والقداح: جمع قدح بالكسر فيهما: وهو السهم قبل أن يراش وينصل وهو كناية عن نحافة البدن وضعف الجسد، أو زوال الآمال والمطالب الدنيويّة[٢].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: شرح لفعل الخوف الغالب بهم، وانّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن، ووقوف القوّة الشهويّة والغاذيّة عن إداء بدل ما يتحلّل، وشبه برى الخوف لهم ببري القداح ووجه التشبيه، شدّة النحافة[٣].

واعلم ان الخوف مقام جليل من مقامات العارفين وهو أحد الأركان التي هي أصول التقوى. وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من خاف الله خافه كلّ شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء.

يَنْظُرُ إلَيْهِمْ الْنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَض، وَيَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهَم أمْرٌ عَظِيمْ

خولط فلان في عقله: إذا اختلّ عقله وصار مجنوناً، ثم إنّ الأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله تعالى.

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال الله

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن عبده: ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٨.

ومطالعة أنوار الملأ الأعلىٰ[1].

وكيف كان فقد اجتمع في المتقين صفات من الحلم، والعلم، والبر، والخوف من الله تعالى، وهذه الصفات توجب صدور الخيرات، والبركات منهم في معاملاتهم ومعاشراتهم فلا يتجاوزون ولا يعتدون على أحد، بل يعفون ويصفحون ولا يبطرون ولا يعصون، بل يجتنبون عن كلّ محرّم من المحرّمات، ويصدر منهم الإحسان والبرّ، وينظرون إلى المسائل والأمور بنور العلم، ويرفعون المشاكل والمبهمات، فهم خير محض في النهار فهذه الصفات هي التي تكون رمزاً للانسانيّة في المجتمع البشري.

* * *

لا يَرْضَوْنَ مِنْ أعْمالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لأِنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إذَا زُكِّيَ أحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أنَا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرِبِّي أعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللّهُمَّ لاَ تُؤاخِذْني بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْني أفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاٰ يَعْلَمُونَ.

لاٰ يَرْضَوْنَ مِنْ أعْمَالِهِمُ القَلِيلَ:

أي لا يقنعون بالقليل لعلمهم بشرف الغايات المقصودة من العبادات وعظم ما يترتب عليها من الثمرات، وهو العتق من النار، والفوز بالجنة، والوصول إلىٰ رضوان الله الذي هو أعظم اللّذات وأشرف الغايات.

ومن هنا نرى إنّ همم أولياء الله وأئمة الدين والتقوى واليقين تكون

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٩.

مقصورة على الجد والإجتهاد، والتفرّغ للعبادة، كما قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) لياليه على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفر وجهه، وأتعب نفسه هكذا ورد في تفسير القمي عن أبي عبد الله وأبي جعفر (عليه السلام) قالا: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلّى قام على أصابع رجليه حتى تورّمت فأنزل الله تبارك وتعالى (طٰه) بلغة طي يا محمد (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ)[1][2].

وروىٰ السيوطي في تفسيره، عن الربيع بن أنس، قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى[3]... الحديث.

وفي رواية اخرى عن علي قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ما أنزلنا عليك: القرآن لتشقى[4].

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ربما قرأ القرآن إذا صلى قام على رجل واحدة[5]... الحديث.

وغير ذلك من الروايات الواردة في المقام فراجع.

وفي الكافي: عن أبي بصير، عن الباقر (عليه السلام)، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب

---

(١) طه: ١ و ٢ و ٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) الدر المنثور: ج ٤، ص ٢٨٩.

(٤) الدر المنثور: ج ٤، ص ٢٨٨.

(٥) الدر المنثور: ج ٤، ص ٢٨٩.

نفسك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً، قال: وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوم على أطراف أصابع رجليه فانزل الله سبحانه وتعالى : **(طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)**[١].

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام): يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكذلك ولده علي بن الحسين (عليه السلام).

وغير ذلك من الروايات الواردة في المقام الدالة على الحث على العبادة والاستمرار بها، وعدم الارتضاء بالأعمال الصادرة من الانسان.

وَلاٰ يَسْتَكْثِرونَ الكَثِيرَ:

أي لا يعجبون بكثرة العمل ولا يعدونه كثيراً وإن أتعبوا فيه أنفسهم وبلغوا غاية جهدهم لمعرفتهم بأن ما أتوا بهامن العبادات وإن بلغت في كثرتها بيد أنها زهيدة قليلة في جنب ما يترتب عليها من الثمرات، مضافاً إلىٰ أنّ المستكثر يقع في العجب الموجب لإهباط الأعمال والوقوع في الخزي العظيم.

وفي الخصال: عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه[٢].

وفي الخصال أيضاً، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قال ابليس:

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٩٥، ح ٦.

(٢) الخصال: ص ١١١ ـ ١١٢ ح ٨٥.

اذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أبال ما عمل فانه غير مقبول منه، اذا استكثر عمله، ونسي ذنبه، ودخله العجب[١].

اذن عدم الرضا بعمل القليل، وعدم عد الكثير كثيراً يوجب ازدياد العمل فالمتفي حيث يتهم نفسه دائماً بقلة الأعمال، وأن أعماله القليلة غير مستكمل لشرائط الصحة فلا يقتنع بها، فلهذا يكون في اصلاح نفسه دائما ويستمر في اتيان الأعمال الصالحة رجاءً للقبول وأداء للتكليف.

وفي الكافي عن أبي الحسن (عليه السلام) يقول: لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلّوا قليل الذنوب فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السرّ حتىّ تعطوا من أنفسكم النصف[٢].

وفي الحديث: قال موسى بن عمران لابليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت[٣] عليه قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه[٤].

فَهُم لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُون:

التهمة اسم مصدر، واتهمته في قوله: أي شككت في صدقه. فالمعنى ان المتقين يتهمون أنفسهم وينسبونها الى التقصير في العبادة.

---

(١) الخصال: ص ١١٢، ح ٨٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨، باب استغفار الذنب ح ٢.

(٣) استحوذ الشيطان على العبد: غلبه واستماله الى ما يريد منه.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣١٤، ح ٨.

قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: فتهمتهم لأنفسهم وخوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم، وكونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل الى الله تعالى فانّ هذا الوهم يكون مبدءاً للعجب بالعبادة والتقاصير عن الازدياد من العمل، والتشكيك في ذلك، وتهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمّارة يستلزم خوفها أن تكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير مطابقة للواقع فتكون باعثاً على العمل وكاسراً للعجب به[1].

وقال العلامة المجلسي «قدس سره»: المراد أنّهم يظنّون بأنفسهم التقصير، أو الميل الى الدنيا، أو عدم الاخلاص في النيّة أو الاعم، أو يشكّون في شأنها ونياتها ويخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء والسمعة وان تجرّها العبادة الى العجب فلا يعتمدون عليها[2].

ومن هنا نرى روايات كثيرة دلّت على الحث على عدم التقصير في العبادات:

منها: ما ورد في الكافي عن أبي الحسن موسى (عليه السلام): قال: قال لبعض ولده: يا بني عليك بالجدّ ولا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ وطاعته فانّ الله لا يعبد حقّ عبادته[3].

منها: ما روى أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣ ص ٤١٩.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٥.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٢، ح ١.

رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل: لا يتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها، لثوابي فانّهم لو اجتهدوا واتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرّين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا[1] الحديث.

وفي رواية قال أبو الحسن (عليه السلام): اللهم لا تخرجني من التقصير، فسأله الراوي ما معنى «لا تخرجني من التقصير» قال (عليه السلام): كل عمل تريد به وجه الله فكن منه مقصرّاً عند نفسك، فانّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلاّ من عصمه الله[2].

وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُون:

الاشفاق: الخوف. أي خوفهم من عدم قبول أعمالهم، أو كونها غير جامعة لشرائط الصحّة والكمال على لوجه الذي يليق به تعالى فيؤاخذوا به. وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بذلك في قوله: (**وَٱلَّذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةَ**)[3].

وورد في تفسير الصافي عن الصادق (عليه السلام)، انه سئل عن هذه الآية فقال: هي إشفاقهم ورجاؤهم، يخافون أن ترد عليه أعمالهم إن لم

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٧١، ح ١.

(٢) الكافي : ج ٢، ص ٧٣، ح ٤.

(٣) المؤمنون: ٦٠.

يطيعوا الله ويرجون أن تقبل منهم[١].

وفي مجمع البيان: قال أبو عبد الله (عليه السلام): معناه خائفة أن لا يقبل منهم[٢].

وفي الكافي عن عبد الرحمان بن الحجاج، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق، ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب به فقال (عليه السلام): هو في حاله الأُولى وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه[٣].

وقال العلامة المجلسي «قدس سره»: الاشفاق: الخوف أو إشفاقهم من السيئات وان تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم، ومن الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط، وشوب النية أو للأعمال السيئة[٤].

اذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُم خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ:

التزكية: المدح. فان مدح المتقي بأوصاف ومدايح بما فيه من المحامد والاوصاف ومكارم الاخلاق ومراقبة العبادات ومواظبة الطاعات خاف مما يقال له، واشمئز منه، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم منّي بنفسي. وإنّما يخاف ويشمئز من التزكية لكون الرضا بها مظنّة الإعجاب

---

(١) تفسير الصافي: ج ٢، ص ١٤٣، ذيل آية ٦٠ من سورة المؤمنون.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١١٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣١٤، ح ٧.

(٤) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

بالنفس والإدلال بالعمل، ومن هنا نهى الله سبحانه عباده من تزكية النفس في قوله: (فَلاَ تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ)[1] أي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فإنّي أعلم بها.

وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ:

قال العلامة المجلسي «قدس سره»: أي وفقني لدرجة فوق ما يظنون بي من حسن العمل والقبول[2].

وَٱغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ:

أي لا تؤاخذني بتزكية المزكّين التي هي مظنّة الإعجاب الموجب للسخط والمؤاخذة، واغفر لي الهفوات والآثام التي أنت عالم بها وهي مستورة عنهم.

فعلى ما ذكرنا فهذه الجملة الدعائية متمّ لكلام المتقين الذي حكاه (عليه السلام) عنهم، يعني اذا زكي أحدهم يخاف منه ويجيب المزكي بقوله أنا أعلم بنفسي إلى آخره ثم يدعو ربه بقوله اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون.

* * *

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنىٰ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً في شِدَّة، وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدىً، وَتَحَرّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحة وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ:

أي متصلباً في الدين، ولا يؤثر فيه تشكيك المشكك، ولا ينخدع بخداع الناس.

وقال العلّامة المجلسي «قدس سره»: القوة في الدين: أي لا يتطرّق الى الايمان الشك والشبهات وإلىٰ الاعمال الوساوس والخطرات[1].

وقال بعض الأجلّة: القوة في الدين: أي له قوة نظريّة وعمليّة فيه فيعلمه ويعمل به ويقاوم فيه الوساوس، ولا يدخل فيه خداع الناس[2].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: هذه الالفاظ التي أولها «قوة في دين» بعضها يتعلّق حرف الجر فيه بالظاهر فيكون موضعه نصباً بالمفعوليّة، وبعضها يتعلّق بمحذوف، فيكون موضعه نصباً أيضاً على الصفة ونحن نفصلّها فقوله: «قوة في دين» حرف الجر هاهنا متعلق بالظاهر، وهو «قوة» تقول: فلان قوي في كذا وعلى كذا، كما تقول: مررت بكذا وبلغت الى كذا[3].

وَحَزْماً فِي لِينٍ:

أي يكون لينه عن حزم وتثّبت لا عن مهانة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: إن حرف الجر هاهنا لا يتعلّق بالظاهر، لانه لا معنى له، ألا ترى أنك لا تقول: فلان حازم في اللين، لأن اللين ليس أمراً

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٢) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٠.

يحزم الانسان فيه، وليس كما تقول: فلان حازم في رأيه أو في تدبيره: فوجب أن يكون حرف الجر متعلقاً بمحذوف تقديره: وحزماً كائناً في لين[١].

فالمستفاد منه: انّ الحزم يكون مع اللين وإلى هذا أشار ابن ميثم «قدس سره» في شرحه حيث قال: الحَزم في الأُمور الدنيويّة والتثبّت فيها ممزوجاً باللين للخلق وعدم الفظاظة عليهم[٢].

وقال العلّامة المجلسي «قدس سره»: والحزم بالفتح: ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة، والحذر من فواته وكأنّ المعنى أنّه لا يصير حزمه سبباً لخشونته، بل مع الحزم يداري الخلق ولا يلانيهم[٣].

ثمّ إنّ اللين على قسمين أحدهما: أن يكون عن مهانة وضعف، وهو مذموم، وثانيهما: أن يكون عن تواضع، وهو المطلوب.

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] وقد يكون عن مهانة وضعف يقين، والأوّل هو المطلوب وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس، والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لإنفعال المهين عن كل جاذب[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤١٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٤) الشعراء: ٢١٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٠.

وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ:

قال ابن أبي الحديد في شرحه: حرف الجرّ متعلق بمحذوف أي كائناً في يقين: أي مع يقين، فإن قلت: الإيمان هو اليقين فكيف قال: «وايماناً في يقين» ؟ قلت: الإيمان هو الإعتقاد مضافاً الى العمل، واليقين هو سكون القلب فقط، فأحدهما غير الآخر[1].

وفيه نظر: لأنّ الإيمان أمر قلبي والعمل من آثاره.

نعم هناك ملازمة بين الإيمان الكامل ووجود العمل فالأولى أن يقال: كما في شرح اصول الكافي أنّ الايمان: هو التصديق، وهو قابل للشدّة، والضعف، فتارة يكون عن تقليد، وتارة يكون عن دليل مع العلم بأنّه لا يكون معه غيره وهو علم اليقين، والسالكون لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون عين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والإعراض عنها، و «اليقين» في كلامه (عليه السلام) يمكن حمله على احد هذين المعنيين[2].

وفي الكافي: عن جابر قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): يا أخا جعفى انّ الإيمان أفضل من الاسلام، وانّ اليقين أفضل من الايمان، وما من شيء أعزّ من اليقين[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٠.

(٢) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٥١، ح ١.

وَحِرْصَاً فِي عِلْمٍ:

أي وحرصاً في طلب العلم النافع في الآخرة والازدياد منه.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: حرف الجرّ هاهنا يتعلّق بالظاهر، و «في» بمعنى «على» كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[1][2].

فالمطلوب هو ازدياد العلم كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[3].

وَعِلْماً فِي حِلْمٍ:

أي علماً ممزوجاً بالحلم، فحرف الجرّ هاهنا متعلق بالمحذوف، أي كائناً في الحلم، أي مع الحلم.

وقال بعض الأجلّة: أي لا يجهل شيئاً من أُمور الدين ولا يطيش على أحد من الناس[4] وهذا يدلّ على فضيلة اقتران العلم بالحلم.

وَقَصْداً فِي غِنَىً:

قال العلّامة المجلسي «قدس سره»: والقصد: التوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط، وترك الإسراف والتقتير: أي يقتصد في حال الغنى أو في

---

(١) طه: ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٠.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) شرح اصول الكافي: للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٧.

تحصيل الغنى، أو في الإنفاق مع غنىٰ النفس[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: حرف الجرّ متعلّق بمحذوف: أي هو مقتصد مع كونه غنيّاً، وليس يجوز أن يكون متعلّقاً بالظاهر، لأنّه لا معنى لقولك: اقتصد في الغنى، إنّما يقال: اقتصد في النفقة، وذلك الاقتصاد موصوفٌ بأنّه مقارن للغنى ومجامع له[٢].

وفيه نظر: إذ يمكن أن نمنع عدم جواز كونه متعلّقاً بالظاهر لأنّه يصحُّ أن يكون المقصود هو بيان حال المتقين وأنهم لا يكونون في صدد ازدياد الغنى بل يقتصدون فيه فالذي يستفاد من قوله (عليه السلام) «وقصداً في غنى» أحد الامرين:

الأول: الاقتصاد في طلب المال، وتحصيل الثروة. يعني انه لا يجاوز الحد في كسب المال وتحصيل الغنى بحيث يؤدي الى فوات بعض ما عليه من الفرائض كما هو المشاهد في أبناء الدنيا.

الثاني: الاقتصاد في حال الغنىٰ في حركاته وسكناته ومصارف ماله، بل في جميع أفعاله بمعنى إن غناه لم يوجب طغيانه وخروجه عن القصد وتجاوزه عن الحد كما قال الله سبحانه عز وجل: (**إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَنْ رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰ**)[٣].

وقال بعض الأجلّة: المراد هو الاعتدال في طلب الدنيا وطلب

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ٣٥٠.

(٣) العلق: ٦ و ٧.

فضولها[١].

وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ:

فالظاهر أنّ المقصود منه هو الاتيان بالعبادة مع اقبال القلب، فحرف الجرّ هاهنا متعلّق بالظاهر لا بالمحذوف وان احتمله ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال: حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين معاً[٢].

وفي المصباح المنير: خشع في صلاته ودعائه: أقبل بقلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الارض: إذا سكنت واطمأنت[٣].

فالمراد من الخشوع: هو الخضوع والاقبال القلبي للشيء واذا خشع قلبه خشعت جوارحه وخضعت.

قال بعض الأجلّة: إذا خشع قلبه خشعت جوارحه، والخشوع: ثمرة الفكر في جلال المعبود، وملاحظة عظمته التي هي روح العبادة[٤].

وكيف كان المراد من الخشوع في العبادة هو الخضوع والتذلل في العبادات كما قال الله سبحانه عز وجل : (ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)[٥].

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ٣٥١.

(٣) المصباح المنير: ص ١٧٠.

(٤) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤١.

(٥) المؤمنون: ٢.

وفي مجمع البيـان: اي خـاضعون مـتواضـعون مـتذلّلون لا يـرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً[١].

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى رجـلاً يـعبث بـلحيته فـي صلاته فقال: اما انّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[٢].

وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَة:

التجمل: هو تكلف الجميل فـيكون المـعنى التـعفف والامتنـاع مـن السؤال عمّا في أيدي الناس واظهـار الغـنى فـي حـال فـقره واستتـار الفـقر بالتجمل وقد مدح الله سبحانه أصحاب الصفّة بذلك في قوله: (يَـحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلحَافَاً)[٣].

وفي مجمع البيان وفي الحديث: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس، ويحب الحليم المتعففّ من عبـاده ويـبغض البذي السائل الملحف[٤].

وقال العلّامة المـجلسي «قـدّس سـرّه»: أي سـلوك مسـلك الاغنيـاء والمتجملّين في حال الفقر، وذلك بتركَ الشكوى إلى الخلق، والإبتهاج بما

---

(١) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٧.

أعطى الله، وإظهار الغنى عن الخلق[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: التجمّل في الفاقة: وذلك بترك الشكوى إلى الخلق والطلب منهم، وإظهار الغنى عنهم. وذلك ينشأ عن القناعة والرضا بالقضاء وعلّوا الهمّة، ويعين علىٰ ذلك ملاحظة الوعد والأجل وما أُعدّ للمتقين[٢].

وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ:

حرف الجر متعلق بالظاهر لا بالمحذوف. وان احتمله ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال: حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين[٣].

والمراد منه: أي يتحمل على شدائد الدنيا ومكارهها ويستحقرها بإزاء ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وبما بشّر به من عظيم الأجر للصابرين في كتابه.

روى الكليني، باسناده عن حفص بن غياث، قال قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا حفص إنّ من صبر صبر قليلاً وان من جزع جزع قليلاً، ثم قال: عليك بالصبر في جميع امورك فان الله عز وجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) فأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥١.

هَجْراً جَمِيلاً)[١] الى قوله تعالى: **(وَمَا يُلَقَّٰهَا إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّٰهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**[٢] فصبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى نالوه بالعظائم، ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله عز وجل: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)**[٣] والحديث طويل وفي ذيله فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتّى يقرّ له عينه في اعدائه مع ما يدخر له في الآخرة[٤].

وفي رواية أخرى مرفوعاً إلى علي بن الحسين (عليه السلام): قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا ايمان لمن لا صبر له[٥].

وفي رواية ثالثة باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان[٦].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: المراد من «وصبراً في شدة» أي الصبر على شدّة الفقر، أو العبادة، أو المصائب، أو الأعم[٧].

وقال بعض الأجلّة: المراد من «وصبراً في شدة» أي من الفاقة والمعصية وغيرهما ممّا يثقل على النفس ويشق عليها ومنشأهُ العفّة وتصوّر

---

(١) المزمل: ١٠.

(٢) فصلت: ٣٥.

(٣) الحجر: ٩٧.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٨٨ ـ ٨٩، ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٤.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٥.

(٧) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

الأجر المعد للصابرين[1].

وَطَلَباً فِي حَلالٍ:

أي يطلب الرزق من الحلال ويقتصر عليه، ولا يطلبه من الحرام.

وفي الكافي باسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع: ألا أنّ الروح الأمين نفث في روعي انّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتقوا الله عزّ وجلّ، واجملوا في الطلب، ولا يحملنكّم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فانّ الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله عَزّوَجَلّ وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجّل فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة[2].

وفي الوسائل نقلاً عن المفيد في المقنعة: قال قال الصادق (عليه السلام): الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه، والآخر معلق بطلبه، فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وإن لم يسع له، والذي قسّم له بالسعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه، وهو ما أحلّه الله له دون غيره فان طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به[3].

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٧.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٠، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢، ح ٩، ب ١٢.

وَنَشَاطَاً فِي هُدَىً:

نشط في عمله ينشط من باب تعب: خف وأسرع نشاطاً وهو نشيط[١].

وقال العلامة المجلسي «قدّس سرّه»: والنشاط بالفتح: طيب النفس للعمل وغيره.

والهدى: الرشاد والدلالة، أي ينشط لهداية الناس أو لاهتدائه في نفسه[٢].

وقال بعض الأجلّة: أي نشاط وسرور في سلوك سبيل الله وهو ينشأ من قوّة الاعتقاد فيما وعد الله لمن سلك سبيله والتصديق بشرف غايته وهي الفلاح في الآخرة[٣].

ويشهد لما ذكره «قدّس سرّه» ما رواه الكليني باسناده عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاث علامات للمرائي: ينشط اذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحبّ أن يحمد في جميع أُموره[٤].

وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: التحرّج: التأثـم والمعنى جعل

---

(١) المصباح المنير: ص ٦٠٦.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٣) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٧.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٩٥، ح ٩.

الطمع حرجاً، وعدّه اثماً وعيباً[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر لا غير[٢].

والظاهر ان المراد منه أي التجنّب عن الطمع عمّا في أيدي الناس لعلمه بأنّه من الرذائل النفسانيّة، ومنشأ المفاسد العظيمة، إذ يورث الذل، والاستخفاف، والحقد، والحسد، والعدواة، والغيبة، وظهور الفضائح، والمداهنة لاهل المعاصي، والنفاق والرياء، وسدّ باب النهي عن المنكر، وترك التوكّل على الله، والتضرّع إليه، وعدم الرّضا بقسمه إلى غير ذلك.

روى الكليني باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قلت له: ما الذي يثبت الايمان في العبد ؟ قال: الورع، والذي يخرج منه قال : الطمع[٣].

وعن الزهري: قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام) رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع ممّا في أيدي الناس[٤].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه[٥].

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥١.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٤ باب الطمع.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٣ باب الطمع.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٢، باب الطمع.

يَعْمَلُ الأعمَالَ الصَّالِحَة وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ:

وَجِلَ وَجَلاً فهو وَجِل، والانثى وَجِلة من باب تعب: إذا خاف[١].

وقال العلامة المجلسي «قدّس سرّه»: الوجل الخوف، وذلك لخوفهم من التقصير في العمل كمّاً اوكيفاً، أو من عذاب الله[٢].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: أي من أن يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روى عن زين العابدين (عليه السلام) انّه كان في التلبية وهو على راحلته فخر مغشيّاً عليه فلما أفاق قيل له ذلك، فقال: خشيت أن يقول لي ربي لا لبيّك ولا سعديك[٣].

* * *

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الغَفْلَةِ، وَفِرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إنْ استَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحبُّ

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، ويُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: وكأنّ تخصيص الشكر بالمساء: لأن الرزق وإفاضة النعم والفوز بالمكاسب، يكون في اليوم غالباً، وتخصيص

---

(١) المصباح المنير: ص ٦٤٩.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ح ٣، ص ٤٢١.

الذكر بالصباح لأن الشواغل عن الذكر في اليوم اكثر، وكلّ يوم كأنّه وقت استيناف العمل[1].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: وقيل للنبي (صلى الله عليه وآله): قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر فَلِمَ تقوم الليل، وتُتْعِب نفسك ؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً[2].

ويمكن أن يكون وجه اختصاص الشكر بالمساء هو صلاحيّة الليل لأداء الشكر بالكيفيّة المطلوبة، والنهار لطلب الرزق والابتغاء من فضله، وحيث انّ الذكر عند الصباح له مدخل عظيم في تحصيل الرزق فلهذا يهتمّ بالرزق عند الصباح حتّى يحصل له الرزق الحلال الطيب من دون أي تعب كما دلت عليه عدة من الروايات.

منها: ما عن الصادق (عليه السلام): قال: الجلوس بعد صلاة الغداة في التعقيب والدّعاء حتّى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض[3].

ومنها: ما ورد في الكافي عن حماد بن عثمان: قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): يقول: لجلوس الرجل في دبر صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من ركوب البحر، فقلت يكون للرجل الحاجة يخاف فوتها فقال (عليه السلام): يولج فيها وليذكر الله عز وجل فانّه في تعقيب ما

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ١٠٣٥، ح ٣، باب ١٨ من أبواب التعقيب.

دام على وضوئه[١].

ومنها: عن رجاء بن أبي الضحّاك قال: كان الرضا (عليه السلام): إذا أصبح صلى الغداة فإذا سلّم جلس في مصلّاه يسبّح الله ويحمده ويكبّره ويهلّله ويصلّي على النبي (صلى الله عليه وآله) حتّى تطلع الشمس[٢].

ثمّ ان «الهمّة» بالكسر أوّل العزم، وقد تطلق على العزم القوي فيقال له همّة عالية[٣].

فيكون المراد من الهمّ في المقام: إنّ عزمهم العالي عند المساء يوجب الشكر وعند الصباح يوجب الذكر، ومن المعلوم: أنّ العمل بمقدار الهمّة فاذا كانت عالية كانت منشأ لصدور الأعمال الصالحة في الليل والنهار.

يَبِيت حَذِراً وَيُصْبحُ فَرِحَاً حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِما أصَابَ مِنَ الفَضْلِ والرَّحْمَةِ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: تفسيرٌ للمحذور وتبينٌ لما به الفرح، وليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح كما يقول أحدنا: يمسي فلان ويصبح حذراً فرحاً، وكذلك تخصيصه الشكر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل أن لا يكون مقصوداً[٤].

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٣١٠، ح ٢٧ باب النوادر.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ١٠٣٦، ح ٧، باب ١٨ من أبواب التعقيب.

(٣) المصباح المنير: ص ٦٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١.

وكيف كان: فحذره عن الغفلة يوجب الذكر، وفرحه بالفضل والرحمة يوجب الشكر، وقال الصادق (عليه السلام): من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن[١].

إنْ استَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: والصعب: نقيض الذلول، واستصعبت على فلان دابته: أي صعبت، واستصعبت عليه نفسه: أي لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس وترك المعاصي، لأن النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله[٢].

لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الذي استصعبت عليه، أو في غيره من اللّذات لتنقاد وتترك الاستصعاب، إذ إطاعة النفس في لذّاتها توجب طغيانها، وقوّتها في الباطل، وبعدها عن الله، ولذا نرى القوّة على العبادة في المرتاضين، ومن أنحلتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء والمترفين بالنعم[٣].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: هذا اشارة إلى مقاومته لنفسه الامارة

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٢، ح ٦.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٧.

(٣) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨.

بالسوء عند استصعابها عليه وقهره لها على ما تكره، وعدم مطاوعته لها في ميولها الطبيعيّة ومحابّها[1].

* * *

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلَهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهلاً أمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُ مَنْهُ مَأْمُونٌ إنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذّاكِرِينَ، وَإنْ كَانَ فِي الذّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ:

قُرّة العين «قرة» بالضم وقُرُوراً: بردت سروراً[2] وفي المنجد قرّت عينه: أي بردت سروراً وجفّ دمعها وقرة عينه ما تقرّ به عينه وتسُرُّ[3].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: أن يرى قرّة عينه فيما لا يزول من الكمالات النفسانيّة الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذّات الباقية والسعادة الدائمة، وقرّة عينه كناية عن لذّته وابتهاجه لاستلزامها

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١.

(٢) المصباح المنير: ص ٤٩٧.

(٣) المنجد: ص ٦١٦.

لقرار العين وبردها برؤية المطلوب، وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا[١].

وقال العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه»: وقرّت عين فلان، وأقرّ الله عينه، كفرّ وعضّ أي سرّ وفرح، ومعناه: أبرد الله دمعة عينه لأنّ دمعة الفرح والسرور باردة، ودمعة الحزن حارّة، وقيل: معنى أقرّ الله عينك: بلغك امنيتك حتّى ترضى نفسك، وتسكن عينك، فلا تستشرف إلى غيره، وقيل: معناه أبرد الله عينك بأن ينقطع بكاؤها، وقرّة عين كل أحد مأموله ومنتهى رضاه[٢].

وكيف كان: أن المتّقين بعد ما عرفوا من المعارف الحقّة لا يحبّون إلاّ ما يناسب تلك المعارف ومناسبها هذه الكمالات النفسانيّة الباقية، والأعمال الصالحة المقربة إليه تعالى ولهذا أحبّوها وزهدوا فيما يخالفها ولا يرغبون فيها، فسرورهم وابتهاجهم المستلزم لقرة عينهم في الباقيات الصالحات والسعادات الأُخروية مما لا يخفى على كل احد.

وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ:

الزهد: ضدّ الرغبة، والمراد منه: هو عدم الرّغبة بما ينافي الكمال المقصود، والفضائل الانسانيّة وهو أمر قلبي كما يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته: **«أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ المَحَارِمِ»**[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٠٦، الخطب ٨١.

وفي حكمه حيث قال (عليه السلام): **الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقرآن: قَالَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ: (لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحوا بِمَا آتاكُمْ) وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلىٰ الماضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ**[1].

وللزهد آثار خارجيّة منها ترك التجمل والتلذذ بالملاذ الدنيويّة بأزيد من المقدار اللازم وترك الحرص على الدنيا وغيرها من الأمور، ثم إنّ الزهد ليس بمعنى الإنعزال عن الاجتماع وسلب المسؤليّة عن الأمور الإجتماعيّة بل الزهّاد رغماً على أنهم يعيشون بين الناس ويقبلون أهم المسؤليّات الاجتماعيّة ويخدمون الشعوب المستضعفة ويأتون بالتكاليف الشرعيّة والاجتماعيّة مع ذلك يعدون من الزاهدين التاركين للدنيا، ومن هنا يظهر الفرق بين الزهادة الاسلاميّة والرهبانيّة المسيحيّة ومن هنا نرى بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان من أزهد الناس وكان هو أميراً للمسلمين والمؤمنين وإماماً لهم راجع رسالة «سيري در نهج البلاغة» للاستاذ الشهيد آية الله المطهري «قدّس سرّه» حيث أفاد وأجاد حول الزهد، ثم ان ما سوى الله فانٍ زائل ولا يبقى الا وجهه تبارك وتعالى كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى: (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**)[2] وفي قوله عزّوجلّ: (**وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيء هَالِكٌ الّا وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[3] فكل شيء عندنا ما دام ليس له ارتباط

---

(١) نهج البلاغة: ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤، الحكم ٤٣٩.

(٢) الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) القصص: ٨٨.

بالمبدأ لا بقاء له بل هو زائل كما صرح بذلك قوله عزّ وجلّ: **(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[١].

يَمْزُجُ الْحِلمَ بِالْعِلْمِ:

مزجت الشيء بالماء مزجاً من باب قَتَلَ: خلطته، وقالوا للعسل: مزجٌ، لانه يخلط بالشراب[٢].

فالمراد: أنّ حلم الزّهاد يكون عن علم بفضل الحلم لا عن جهل، وأمّا فضيلة اقتران علمهم بالحلم فقد مرّ آنفا، ص ٦٤ عند قوله(عليه السّلام) «وعلماً في حلم» فراجع وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي لا يحلم الاّ عن علم بفضل الحلم ليس كما يحلم الجاهلون[٣].

وقال العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه»: أي يحلم للعلم بفضله لا لضعف النفس وعدم المبالاة بما قيل له، أو فعل به، أو لا يطيش في المحاورات والمباحثات، مع أنه يقول عن علم[٤].

وكيف كان فالمراد من الحلم هنا: هو الصفح والعفو كما صرّح بذلك

---

(١) النحل: ٩٦.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٨.

الفيومي حيث قال: وَحَلُمَ بالضم حِلْماً بالكسر: صَفَحَ وستر فهو حليم[١].

أوكما قال بعض الأجلّة: الحلم من اعتدال القوة الغضبيّة التي من شأنها الأخذ والبطش والطغيان، والترفّع والتسلّط والغلبة على الأقران، حتّى حصلت له بذلك ملكة الحلم، المقتضية للصفح والستر والعفو والاناة والحنان والاستكانة[٢].

وَالْقَوْلَ بالعَمَلِ:

أي يكون عمله موافقاً لقوله بأن يأمر بالمعروف ويأتي به، وينهى عن المنكر ويتناهى عنه ويعد وَيَفي بوعده.

وفي الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في قول الله عز وجل: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُن)[٣] قال: يا أبا بصير هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلىٰ غيره[٤].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: إن من أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره[٥].

وهكذا عن أبي جعفر (عليه السلام): قال أبلغ شيعتنا أنّه لن ينال ما

---

(١) المصباح المنير: ص ١٤٨.

(٢) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٣١.

(٣) الشعراء: ٩٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ٤.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ٣.

عند الله إلا بعمل، وأبلغ شيعتنا إن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه»: اي لا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله، ولا يَعِدْ فيخلف فيدخل في مقت الله كما قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللّٰهِ أن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ)[٢][٣].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي إذا أمر الناس بمعروف أو نهاهم عن منكر عمل به، أو يفي بالوعد، أو يقرن الايمان بالأعمال الصالحة، أو يجمع بين القول الجميل والفعل الحسن[٤].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي لا يقتصر على القول، ومثل هذا قول الأحوص:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذق اللسان يقول ما لا يفعل[٥]

تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ:

أملتُهُ أملاً من باب طلب: ترقّبتُه، وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يُستبعَدُ

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ٥.

(٢) الصف: ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١.

(٤) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٣٨.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٧.

حصوله، ومن عزم على السفر إلى بلد بعيد يقول: أملت الوصول ولا يقول: طمعت إلّا إذا قرب منها فان الطمع لا يكون إلاّ فيما قرب حصوله والرجاء بين الأمل والطمع[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّ» في شرحه: أي لكثرة ذكر الموت والوصول إلى الله[٢].

وقال بعض الأجلّة: أي ليس له طول أمل لإكثاره ذكر الموت والوصول إلى الله تعالى حتّى أنّه يترقّبه آناً فآناً[٣].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي ليست نفسه متعلّقة بما عظم من آمال الدنيا، وإنّما قصارى أمره أن يؤمّل القوت والملبس[٤].

قَليلاً زَلَلُهُ:

أي خطأه وذنبه لما له من ملكة العدالة المانعة من ارتكاب الكبائر واصرار الصغائر.

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: قد عرفت أنّ زلل العارفين يكون من باب ترك الاولى لأنّ صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم إلى الذلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أو سهو، ولا شك في قلّته[٥].

---

(١) المصباح المنير: ص ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١.

(٣) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٧.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي قليلاً زلله: أي خطؤه[1]، وكيف كان فالمراد من الزلل: هو الزلق والسقوط، يقال: زلّ: أي زلق وسقط، فالزلل مصدر من باب زلّ والمراد به هو السقوط والعثرة بالذنب والخطيئة.

خَاشِعاً قَلْبُهُ:

أي خاضعاً ذليلاً من تصور عظمة الرب المتعال جل جلاله، والخشوع عبارة عن انكسار القلب وتألمّه وتأثره وإقباله إلى الله سبحانه عزّ وجلّ فهو ضدّ القساوة.

وقال العلامة الطباطبائي «قدّس سرّه»: وخشوع القلب تأثيره قبال العظمة والكبرياء[2] وقال الله سبحانه عزّ وجلّ: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُوْنَ)**[3].

قَانِعَةً نَفْسُهُ:

أي راضية بما رزقهم الله تعالى، وللقناعة آثار ايجابيّة كعزّة النفس، وآثار سلبيّة كعدم الحسادة والعدواة بالنسبة إلى من مكنّه الله تعالى ممّن لهم أموال وجاه ومقام، وكفى لأهميّة القناعة الترغيب الوارد في الأدعية في الليالي المباركة لشهر رمضان كقوله: «اللهم رضني من العيش بما قسمت لي».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ١٨٤.

(٣) الحديد: ١٦.

وقال الفيومي: قنعت به قنعاً من باب تعِبَ وقناعة: رضيت هو قنع وقنوع[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: ينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته وقسمته الأرزاق ويعين عليها تصور فوائدها الحاضرة وغايتها في الآخرة[٢].

وفي الكافي باسناده عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام): قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره[٣].

وهكذا باسناده إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام): قال: من لم يقنعه من الرزق إلا الكثير، لم يكفه من العمل إلا الكثير، ومن كفاه من الرزق القليل فانه يكفيه من العمل القليل[٤].

مَنزُوراً أكْلهُ:

فالمراد منه هو قلة الأكل وهي أمر مطلوب لما يترتّب عليه من حفظ المزاج والنشاط، إذ البطنة توجب الأمراض والكسل، وذهاب الفطنة وزوال الرقة.

قال ابن ميثم «قدس سره» في شرحه: وذلك لما يتصوّر في البطنة من

---

(١) المصباح المنير: ص ٥١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٣٩، ح ٨.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٥.

ذهاب الفطنة وزوال الرّقة، وحدوث القسوة، والكسل عن العمل[١].

وقال الفيومي: نَزُرَ الشيء بالضم نزارة ونزوراً فهو نزرٌ ونزورٌ بالفتح ونزير: أي قليل[٢].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: النزر والمنزور: القليل، والأُكُلْ كعنق: الحظ من الدنيا، وفي بعض النسخ «أكله» بالفتح: أي لا يمتلىء من الطعام، لأنّه من أسباب الكسل عن العبادة وكثرة النوم[٣].

سَهلاً أمْرُهُ:

أي خفيف المؤنة لا يتكلّف لأحد ولا يكلّفه، فانّ شرّ الاخوان من يتكلف له.

حَرِيزَاً دِينُهُ:

الحرز: المكان الذي يحفظ فيه، ويقال: حرزٌ حريزٌ للتأكيد كما يقال: حصن حصين[٤].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: والحرز: الموضع الحصين، حرزٌ حريز كحصن حصين، وحرزه كنصره: حفظه، والمراد عدم إهماله في أمر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٢) المصباح المنير: ص ٦٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨.

(٤) المصباح المنير: ص ١٢٩.

دينه، وعدم تطرق الخلل إليه[١].

وكيف كان فالمراد منه أنّ دينه محفوظ كحصن حصين.

مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرّم عليه ويعود إلى العفّة[٢].

وفي الكافي: عن ميمون القداح، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: ما من عبادة أفضل من عفّة بطن، وفرج[٣].

وفي الكافي: باسناده عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ما عبد الله بشيء أفضل من عفّة بطن، وفرج[٤].

وفيه أيضاً باسناده عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: أفضل العبادة العفاف[٥].

وفيه أيضاً باسناده عن منصور بن حازم عن أبي جعفر (عليه السلام): قال: ما من عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٨٠، ح ٧ باب العفة.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٧٩، ح ١، باب العفة.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٧٩، ح ٣، باب العفة.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٨٠، ح ٨، باب العفة.

مَكْظُوماً غَيْظُهُ:

الغيظ: الغضب المحيط بالكبد. وهو أشد الحنق إلى أن قال: ولا يكون الغيظ إلاّ بوصول مكروه إلى المغتاظ[١].

وقال بعض الأجلّة: كظم الغيظ: ردّه، وحبسه وهو من فضائل القوّة الغضبيّة وأعظم الخصائل البشريّة[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: كظم الغيظ من الاخلاق الشريفة، قال زيد بن علي (عليه السلام): «ما سرني بجرعة غيظ أتجرعها وأصبر عليها حُمرُ النِعَم»[٣].

وكيف كان فهناك روايات وأخبار وأحاديث كثيرة في فضائل كظم الغيظ. وكفىٰ في مَدْحِهِ قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ النَّاسَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٤].

وراجع الكافي ج ٢، ص ١٠٩ باب كظم الغيظ.

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ:

قال العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه»: المأمول: أي المرجوّ[٥].

---

(١) المصباح المنير: ٤٥٩.

(٢) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٨.

(٤) آل عمران: ١٣٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨، ٣٣٨.

وذكر في مكان آخر: وذلك لأكثريّة خيريّته[1].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لاكثريّة خيريّته[2].

وكيف كان الناس يرجون من المتّقين: الخيرات، والبركات، والأعمال الصالحة لكثرة الخيرات الصادرة منهم.

والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور[3].

اعلم ان الناس كما يرجون من المتّقين الخيرات والمبّرات هكذا يتوقّعون أن لاتصدرالشرور منهم فهم آمنون منه.

إنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ:

قال العلاّمة المجلسي «قدّس سرّه» لعل الغرض أنّه لا يزال ذاكراً لله سواء كان مع الغافلين، أو مع الذاكرين، أمّا إذا كان في الغافلين، فيذكر الله بقلبه او بلسانه أيضاً، فيصير سبباً لذكرهم أيضاً، فيكتب انه في الذاكرين[4].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي إن رآه الناس في عداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين، لاشتغال

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨ و ٣٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

قلبه بالذكر وان تركه بلسانه، وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنّه لا يكتب من الغافلين[١].

ونحو هذا ذكر العلّامة المجلسي «قدّس سرّه» في مورد آخر[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: معناه أنّه لا يزال ذاكراً لله تعالى، سواء كان جالساً مع الغافلين أو مع الذاكرين، أمّا إذا كان مع الغافلين فإنّه يذكر الله بقلبه، وأما إذا كان مع الذاكرين فإنّه يذكره بقلبه ولسانه[٣].

ويشهد له ما ورد في الكافي، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: الذاكر لله عزّ وجلّ في الغافلين كالمقاتل في المحاربين[٤].

وأيضاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذاكراً لله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين، والمقاتل عن الفارين له الجنّة[٥].

وهكذا ما ورد في الوسائل عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا أبا ذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين في سبيل الله[٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ١، باب ذكر الله عزّوجلّ في الغافلين.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٢، باب ذكر الله عزّوجلّ في الغافلين.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ١١٩٠، ح ٣، باب ١٢، استحباب ذكر الله في الغافلين.

وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِين لَمْ يُكْتَب مِنَ الغَافِلِين:

لعدم غفلته عن الذكر، اذ من الواضح إذا كان بين الغافلين لم يكن غافلاً عن الله، وإذا كان بين الذاكرين فبطريق الأولى لم يكن من الغافلين.

* * *

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلازِلِ وَقُورٌ، وَفِي المَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: العفو: فضيلة تحت الشجاعة، وخصّ من ظلمه ليتحقّق عفوه، مع قوّة الداعي إلى الانتقام[١].

وذكر نحوه ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: فراجع[٢].

وكيف كان فالعفو عن الظالم من أفضل أنواع العفو، لأنّ الداعي إلى الانتقام موجود دائماً في المظلوم فإذا سيطر المظلوم على نفسه وأعصابه وعفى عن ظالمه فإنّه يبلغ حينئذٍ إلى نهاية الكمال النفسانيّة.

هذا ومن الواضح جداً أنّ العفو عن الظالم المطلوب شرعاً وعرفاً وعقلاً إنّما يكون بالنسبة الى الظالم الذي ندم من ظلمه، وَأمّا إذا كان الظالم مستمّراً في ظلمه فالعفو عنه يكون سبباً لتقويته وتشجيعه على الظلم فليس

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

هذا بممدوح أبداً بل المتّقون هم أولى من غيرهم بمقابلة الظلمة وردعِهم عن الظلم والدفاع عن المظلوم. وهذا واضح، إذن اطلاق العبارة يحمل على ما ذكرنا جمعاً بين الأدلة.

وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: الغالب في الصلة والقطع: الاستعمال في الرحم، وقد يستعملان في الأعم أيضاً[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: ويعطي من حرمه، وهي فضيلة تحت السخاء[٢].

وروي في الكافي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا تقطع رحمك وان قطعتك[٣].

وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَه:

قال ابن ميثم في شرحه: المواصلة: الفضيلة تحت العفة[٤].

وكيف كان هذه الصفات الثلاثة من مكارم الاخلاق ومحامد الخصال فالاولى مندرجة تحت الشجاعة، والثانية مندرجة تحت السخاء، والثالثة مندرجة تحت العفة. وقد دلّت الأخبار على فضيلتها.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢.

منها ما ورد في الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته:ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة ؟: العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساءَ إليك وإعطاء من حرمك[1].

ومنها: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام): قال ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلاّ عزّاً: الصفح عمّن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصّلة لمن قطعه[2].

بَعيدَاً فُحْشُهُ:

أي السب وبذاء اللسان. وفي مصباح المنير: وهو القول السيء[3].

وهذا من الموبقات العظيمة التي حذّرها الشارع في الأحاديث المتعددة. منها: ما ورد في الكافي باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه أن يكون فحاشاً، لا يبالي بما قال ولا بما قيل له[4].

وفيه أيضاً باسناده عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٧، ح ١ باب العفو.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، حديث ١٠، باب العفو

(٣) المصباح المنير: ص ٤٦٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ١، باب البذاء.

فحّاش بَذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له[١].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له، فإنّه لغيّة أو شرك شيطان[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: ليس يعني أنه قد يفحش تارة، ويترك الفحش تارات، بل لا فحش له أصلاً، فكنى عن العدم بالبعد، لأنه قريب منه[٣].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: عود إلى السياق السابق، والجمل معترضة، أو حال عن فاعل يصل، وقد يعبّر بالبعد عن العدم، ويحتمل القلّة فإنّ التقوى غير العصمة[٤].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: إنّه قلّما يخرج في أقواله إلى ما لا ينبغي[٥].

لَيِّناً قَوْلُهُ:

أي يتكلم بالرفق ولا يغلظ في كلامه، فان الرفق في القول يوجب المحبّة، ويجلب الأُلفة ويدعو إلى الإجابة عند الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٣، باب البذاء.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٢، باب البذاء.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٤) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

المنكر.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: العارف بسّام طلق الوجه، ليّن القول، وفي صفات النبي (صلى الله عليه وآله): «ليس بفظّ ولا صخّاب أي شديد الصياح»[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي لينة في القول عند محاورة الناس ووعظهم ومعاملتهم، وهو من أجزاء التواضع[٢].

وفي الكافي باسناده عن عمّار الساباطي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ليجتمع في قلبك الإفتقار إلى الناس، والإستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك، وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك، وبقاء عزّك[٣].

غَائِبَاً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ:

أي ليس له أعمال قبيحة محرّمة بل له أعمال صالحة حسنة.

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك للزومه حدود الله[٤].

ونقل العلّامة المجلسي «قدّس سرّه» عن والده: وقال: يمكن أن يراد بالمعروف والمنكر: الإحسان والإساءة إلى الخلق[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٤٩، ح ٧، باب الاستغناء عن الناس.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٥) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وهو كقوله: الخير منه مأمول والشر منه مأمون، ويحتمل باقبال خيره: أخذه في الازدياد من الطاعة وتشميره فيها، ويقدر ذلك يكون إدباره عن الشرّ، لأنّ من استقبل أمراً وسعى فيه بعد عمّا يضاده وأدبر عنه[١].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: يمكن أن يراد بالإقبال: الازدياد وبالإدبار: الإنتقاص، أي لا يزال يسعى فيزداد خيره وينتقص شره[٢].

فِي ٱلزَّلازِلِ وَقُورٌ:

يعني انه في النوازل والشدائد والحوادث العظيمة الموجبة لاضطراب الناس متصف بشّدة الوقار والسكينة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أي لا تحركه الخطوب الطارقة، ويقال: إنّ علي بن الحسين (عليه السلام) كان يصلّي، فوقعت عليه حيّة، فلم يتحرّك لها، ثم انسابت[٣] بين قدميه فما حرك إحداهما عن مكانه، ولا تغيّر لونه[٤].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: والزلازل: الشدائد، والوقور: فعول من الوقار بالفتح، وهو الحلم والرزانة، والرخاء: سعة العيش[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٣) انسابت الحيّة: أي جرت وتدافعت في مشيها.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: كنى بها عن الأُمور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب وأحوال الناس، والوقار ملكة تحت الشجاعة[١].

وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك عن ثباته وعلوّ همته عن أحوال الدنيا[٢].

فبالصبر يزداد الأجر ويرتفع المقام وكفى في مدحه قوله تعالى: (وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[٣].

وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لمحبّة المنعم الأوّل - جلّت قدرته - فيزداد شكره في رخائه وإنْ قلّ[٤].

ثم ان الشكر في الرخاء: لا يكون إلاّ لأجل عدم غفلته عن ذكر الله ووصوله إلى درجة الذاكرين في جميع الحالات وهذا مقام شامخ، وكفىٰ في مدحه قوله تعالى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَإِقامِ الصَّلوٰةِ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) الانفال: ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

وَإِيتاءِ الزَّكوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمَاً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلوبُ وَالأَبْصَارُ)[١].

* * *

لاَ يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بَالْحَقِّ قَبْلَ أنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بالأَلْقَابِ، وَلاَ يُضَارُّ بِالجَارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ، إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمْ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاء، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ

لاَ يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبغِضُ:

أي لا يظلمه، وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وهو سبب للحيف والظلم مع قيام الداعي إليهما، وهو البغض لمن يتمكّن من حيفه وظلمه[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: هذا من الاخلاق الشريفة النبويّة[٣].

وقال الفيومي: حاف يحيف حيفاً: جَارَ وظَلَمَ، وسواء كان حاكماً أو غير حاكم فهو حائف[٤].

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٤) المصباح المنير: ص ١٥٩.

واذا بلغ المتقي إلى هذا الحد حاز أسمى مراتب الكمال لانه استطاع أن لا يحيف على من ظلمه مع وجود الداعي إلى الحيف في نفسه ويشهد له قوله تعالى: **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)**[1].

وَلاَ يَأْثَم فِيمَنْ يُحِبُّ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وهو سلبٌ لرذيلة الفجور عنه باتّباع الهوىٰ فيمن يحبّ إمّا بإعطائه ما لا يستحقّ، أو دفع ما يستحقّ عنه، كما يفعله قضاة السوء وأُمراء الجور، فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه، وهو المحبّة لمن يحبّه، بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء[2].

فالمحبّة للغير لا تخرج المتقي عن الحق ولا تميله عن الحق بل لا يقع لأجلها في المعصية لأنّه خال عن الهوىٰ.

يَعْتَرِفُ بِالْحَقّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لتحرزه في دينه من الكذب إذ الشهادة إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحق، وذلك كذب[3].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: لأنّه إنْ أنْكَرَ ثم شهد عليه فقد ثبت

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

كذبه، وإن سكت ثم شهد عليه فقد أقام نفسه في مقام الريبة[١].

لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ:

أي لا يضيع ما أمر الله بمحافظته من الواجبات كالمحافظة على الصلوات قال الله سبحانه عز وجل: (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ)[٢]، والمراد من محافظتها: محافظة أوقاتها وحدودها ومراعاة آدابها وشرائطها والمداومة على الاتيان بها.

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي ما أُودع عنده من الأموال والأسرار، والتضيع في الأوّل بالخيانة والتفريط، وفي الثانية بالإذاعة والإفشاء، ويحتمل: شموله لما استحفظه الله من دينه وكتابه[٣].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي لا يضيع أماناته ولا يفرّط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه، وذلك لورعه ولزوم حدود الله[٤].

وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي ما أُمر بتذكّره من آيات الله وعبره وأمثاله، أو الأعمّ منها ومن أحكام الله والموت والمصير إلى الله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٥٩.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣.

وأهوال الآخرة[١].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وأمثاله، ولا يترك العمل بها، وذلك لمداومته ملاحظتها، وكثرة إخطارها بباله والعمل بها لغايته المطلوبة منه[٢].

وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: والنبز بالتحريك: اللّقب قيل: وكثر فيما كان ذماً، والمنابزة والتنابز: التعاير والتداعي بالألقاب[٣].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: ذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم (**وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ**) وسرّ ذلك النهي هو كون ذلك مستلزماً لإثارة الفتن والتباغض بين الناس، والفرقة المضادّة لمطلوب الشارع[٤].

وكيف كان فانّ التنابز بالألقاب حيث يوجب العداوة والبغضاء بين الناس فلهذا ورد النهي عن ذلك في القرآن الحكيم: (**وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ**)[٥].

وقال العلّامة الطباطبائي «قدّس سرّه»: التنابز بالألقاب: عبارة عن ذكر بعضهم بعضاً بلقب أسوء ممّا يكرهه كالفاسق، والسفيه، ونحو ذلك[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٣) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٥) الحجرات: ١١.

(٦) تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٣٥٠.

وَلاَ يُضارُّ بالجَارِ:

لوجوب كف الأذى عن الجار، وحسن المعاشرة معهم، كما صرح بذلك عدّة من الروايات:

منها ما ورد في الكافي باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: المؤمن من آمن جاره بوائقه، قلت: وما بوائقه ؟ قال: ظلمه وغشمه[١].

وفيه أيضاً عن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال والبيت غاص بأهله: اعلموا إنّه ليس منّا من لم يحسن مجاورة من جاوره[٢].

وفيه أيضاً عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر (عليه السلام): قال من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر: جار السوء، إن رأى حسنة أخفاها، وإن رأى سيئة أفشاها[٣].

وفيه أيضاً باسناده عن اسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعوذ بالله من جار السوء في دار إقامة، تراك عيناه ويرعاك قلبه إن رآك بخير ساءه، وإن رآك بشرّ سرّه[٤].

وفيه أيضاً باسناده عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حسن الجوار يعمّر الديار،

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٢، باب حق الجوار.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١١، باب حق الجوار.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٥، باب حق الجوار.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١٦، باب حق الجوار.

وينسىء في الأعمار[١].

وفيه أيضاً باسناده عن الحسن بن عبد الله، عن عبد صالح (عليه السلام) قال قال ليس حسن الجوار كفّ الأَذى، ولكن حسن الجوار صبرك علىٰ الأَذىٰ[٢].

وفيه أيضاً باسناده عن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): حسن الجوار زيادة في الأعمار، وعمارة الديار[٣].

وقال ابن ميثم في شرحه: ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى: (وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ)[٤] ووصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المرفوع إليه: أوصاني ربّي بالجار حتّى ظننت أنّه يورّثه، ولغاية ذلك وهي الأُلفة والإتحاد في الدين[٥].

وَلاَ يَشْمَتُ بِالمَصَائِبِ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لعلمه بأسرار القدر، وملاحظته لأسباب المصائب، وأنه في معرض أن تصيبه فيتصوّر أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره[٦].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ١٠، باب حق الجوار.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٩، باب حق الجوار.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٧، باب حق الجوار.

(٤) النساء: ٣٦

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

وقال الفيومي: شمِتَ به يشمت: إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو[1].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه» وشمت كفرح شماتة بالفتح: أي فرح ببلية العدو[2].

وهناك روايات كثيرة دلّت على قبح الشماتة، وأنّ صاحبها لا يخرج من الدنيا حتّى يبتلى بمثلها فيشمته الشامتون كما روي في الكافي، عن أبي عبد الله (عليه السلام): من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتّى يفتتن[3][4].

وَلاَ يَدْخُلُ فِي البَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي لا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا، ولا يخرج عمّا يقرب إليه من مطالبه الحقّة، وذلك لتصوّر شرف غايته[5].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي لا يدخل في مجالس الفسق واللهو والفساد، أو المراد: عدم ارتكاب الباطل، وكذا «الخروج من الحق» أي

---

(١) المصباح المنير: ص ٣٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩.

(٣) أي يقع في الفتنة.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٩.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

من مجالسه، أو عدم ترك الحقّ[١].

إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: لعلمه بمفاسد الكلام، وعدم إلتذاذه بالباطل من القول، أو لاشتغال قلبه حين الصمت بذكر الله[٢].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: كونه لا يغمه صمته لوضعه كلاً من الصمت والكلام في موضعه، وانّما يستلزم الغم والصمت عمّا ينبغي من القول، وهو صمت في غير موضعه[٣].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي لا يحزن لفوات الكلام، لأنه يرى الصمت مغنماً لا مغرماً[٤].

وروي في الكافي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه[٥].

كما روى فيه أيضاً عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: كان أبو ذر ـ رحمه الله ـ يقول: يا مبتغي العلم[٦] ان هذا اللسان مفتاح

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٦٠.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ١١٦، ح ١٩.

(٦) أي طالبه.

خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك[١][٢].

وقال بعض الأجلّة: وكثرة صمته بسبب علمه أن الأقوال اكثرها فاسدة متعلّقة بما لا يعني، وأن الكلام يشغل السرّ عن التجرّد لذكر الله، ويمنع استكماله بالمعارف والحكمة، وأنّ الصمت يلحقه بها[٣].

وقد ورد في مدح الصمت وذم التكلم روايات كثيرة:

منها: ما ورد في الكافي باسناده عن الحلبي مرفوعاً قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) نجاة المؤمن في حفظ لسانه[٤].

ومنها: ما ورد عن الحلبي أيضاً قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمسك لسانك فانها صدقة تصدّق بها على نفسك ثم قال: ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتّى يخزن من لسانه[٥].

ومنها ما ورد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة إنّ الصمت يكسب المحبّة إنّه دليل على كل خير[٦].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ان كان كلامك من فضة فأيقن ان السكوت من ذهب.

---

(١) أي الفضة من الدراهم المضروبة وجمعه الوراق أو الأوراق.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١١٤، ح ١٠.

(٣) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٣٠.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١٤، ح ٩ باب الصمت وحفظ اللسان.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ١١٤، ح ٧ باب الصمت وحفظ اللسان.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ١١٣، ح ١، باب الصمت.

وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ:

قال ابن أبي الحديد في شرحه: هكذا كان ضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أكثره التبسّم، وقد يفرّ[١] أحياناً ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة[٢][٣].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه[٤].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: أي لا يشتدّ صوته أو يكتفي بالتبسم، إذ الخروج عنه يكون غالباً بالضحك بالصوت العالي، والواسطة نادرة[٥].

وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْه صَبَرْ حَتّىٰ يَكُونَ اللّٰه هُوَ الْذّي يَنْتَقِمْ لَهُ:

قال بعض الأجلّة: أي ان ظلم لم ينتقم هو بنفسه من الظلم، بل يكل أمره إلى الله لينتصر منه[٦].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام الله له، وذلك منه نظراً إلىٰ ثمرة الصبر وإلى الوعد الكريم ذلك (وَمَنْ

---

(١) (٢) هما كيفيّتان من الضحك.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٦٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠

(٦) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ)[١] الآية وقوله: (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)[٢][٣].

هذا إذا لا يلزم منه تجري الظالم على ظلمه و تقويته على ذلك وإلّا فدفع الظلم، وعدم تقوية الظالم على الظلم من الواجبات الشرعيّة كما لا يخفى.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ:

قال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: أي نفسه الأمّارة بالسوء لمقاومته لها وقهرها ومراقبته إيّاها، والناس من أذاه في راحة لذلك[٤].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: لأنّه يتعبها بالعبادة، والناس لا يلقون منه عنتاً ولا أذىً، فحالهم بالنسبة إليه بخلاف حال نفسه بالنسبة إليه[٥].

وقال بعض الأجلّة: فسر هذا بقوله: الآتي: أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه[٦].

وفي الكافي باسناده، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أصبح وهو لا يهمّ بظلم أحد غفر الله له ما

---

(١) الحج: ٦٠.

(٢) النحل: ١٢٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٦٠.

(٦) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

اجترم[١].

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس[٢].

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة[٣].

أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَباعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثم قال: أهكَذَا تَصنَعُ المَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ:

قال بعض الأجلّة: أي للقيام بالطاعات، والإنتهاض لوظائف العبادات[٤].

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٤، ح ٢١ و ٣٣٢، عن أبي عبد الله ح ٨ باب الظلم.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٢٣، باب الظلم.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١٠ و ١١ باب الظلم.

(٤) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ:

قال بعض الأجلّة: أي من شرّ نفسه ومكائدها لأن مبدأ الشرور طغيان النفس ومحبّة الدنيا، وهو بمعزل عنها، ويحتمل أن يراد بـالفقرة الاولى: أن نفسه الامّارة منه في عناء وتعب لمنعها عن هـواهـا، وزجرهـا عـن رداهـا، ومقاومته لها، وقهره عليها، ومراقبته إيّاها، والناس في راحة مـن شـرّ نـفسه ومناقشته ومنازعته في أمر الدنيا، ولعلّه أولى لأن التأسيس خير من التأكيد[1].

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: لاشتغاله بنفسه[2].

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ:

قال بعض الأجلّة: يعني بعده ممّن تباعد منه بغض لما انهمكوا فيه من الدنيا، والأعمال القبيحة، ونزاهة عن التـلوث بـه، وبمشـاهدته لا عـن كـبر وتعظم عليه كما هو شأن المتكبّرين المتباعدين من الصلحاء وغيرهم[3].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: والزهد: خلاف الرغبة، وكثيراً ما يستعمل في عدم الرغبة في الدنيا، والنزاهة بـالفتح: التبـاعد عـن كـلّ قـذر ومكروه، وانّما كان تباعده زهداً ونزاهة، لأنه إنّما يرغب عن أهل الدنيا وأهل الباطل، وقيل: نزاهة عن تدنّس العرض[4].

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠.

(٣) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

(٤) بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠.

وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ:

أي قربه من المؤمنين من باب التعاطف والتواصل كما قال الله سبحانه (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)[1].

قال في مجمع البيان: قال الحسن: بلغ تشددهم على الكفار أن كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا يتلزق بثيابهم، وعن أبدانهم حتى لا تمس أبدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه[2].

وقد ورد في الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: تواصلوا، وتباروا، وتراحموا، وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عزّ وجلّ[3].

وقال ابن ميثم «قدّس سرّه» في شرحه: وكذلك دنوّه ممّن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار[4].

وقال بعض الأجلّة: أي دنوّه ممّن دنا منه لين ورحمة منه لهم لا مكر بهم ولا خديعة كما هو حال خبيث الأخلاق[5].

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ١٢٧.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٧٥، ح ٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣، ص ٤٢٥.

(٥) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٣.

لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ:

قال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: الخديعة ككريهة: الاسم من خدعة، أي ختلة وأراد به المكروه من حيث لا يعلم[١].

قال: فَصَعِقَ هَمَامُ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا:

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أغمى عليه ومات، قال الله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[٢][٣].

وقال العلّامة المجلسي «قدّس سرّه»: وصعق كسمع: أي غشى عليه، من صوت شديد سمعه أو من غيره، وربّما مات منه «كانت نفسه فيها»: أي مات بها، ويحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة، كما هو الغالب في هذا المقام، ويراد بكون نفسه فيها، خروج روحه بخروجها[٤].

وقال بعض الأجلّة: يعني غشى عليه ومات رحمه الله[٥].

وهنا نكات

١ ـ لا يخفىٰ عليك أنّ تأثير المواعظ تتقدّر بمقدار حال المتعظ فكلّما كان المتعّظ مقبلاً بقلبه كان أثرها فيه أزيد. وحيث كان همام من المقبلين

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ١٦٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٣٠.

(٥) شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني: ج ٩، ص ١٤٤.

والمصغين بمسامع قلبه، أثّر المواعظ البالغة المذكورة فيه وأمّا عروض موته عند استماعه تلك المواعظ فإنّه تقدير إلٰهي لحلول أجله في ذلك الوقت.

وأمّا عدم عروض الموت لغيره من المتعظين الكاملين فلعلّه كان لعدم حلول أجلهم هذا مضافاً إلى اختلاف قوّة النفوس القدسيّة لقبول الارشادات الإلهية.

٢ ـ أنّ ما أشار اليه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذه الخطبة من صفات المتّقين يتجاوز عن السبعين، ولعلّه أراد أن يتمّها ولكن حل أجل همام فلم يتمكّن من إتمامها، وكيف كان فهذه الصفات والعلامات المختلفة الروحيّة تحكي عن كون التقوى حالة راسخة في المتّقين بحيث يجعلهم في حفظ ووقاية من الجوانب المختلفة روحيّة كانت أم غيرها.

٣ ـ ثم إنّ هذه الصفات والعلامات لها مراتب ودرجات يمكن النيل إليها في الجملة فجدير على عدم الإكتفاء بالدرجة الأدنى بل اللازم بذل الجهد الواسع الحثيث للإدراك على مراتب الأصفياء والأولياء والأبرار. فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإيّاكم من زمرة المتّقين. و (**لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ**)[1].

وفي الختام نتشكر من فضيلة الحجة السيد محسن الحسيني الأميني لمراجعته لهذه الكراسة القيّمة فجزاه الله خير الجزاء والحمد لله اولاً وآخراً.

السيد محسن الخرازي

٢٩ رمضان ـ ١٤٠٧

---

(١) الصافات: ٦١.

الفهارس

* فهرست آيات القرآن
* فهرست الأحاديث الشريفة
* فهرست الموضوعات
* مصادر التحقيق

فهرست الآيات

فهرست الأحاديث

الأحاديث | الصفحة

الأحاديث	الصفحة
الورع	٧٢
أمّا إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه	٦٧
أمّا بعد فإن الله سبحانه وتعالى	١٥
أمّا بعد فإني أُوصيكم بتقوى الله	١٢
أما والله لقد كنت اخاوفها	١٨
أمسك لسانك فإنّها صدقة	١٠٦
إنّ السّريرة إذا صحّت	١٣
إنّ الصّدقة تزيد صاحبها كثرة	٢٥
إنّ القرآن نزل بالحزن	٤٧
إنّ الله حرّم الجنّة على كل	٩٣
إنّ الله يحبّ أن يرىٰ أثر نعمته	٦٧
إنّ أولياء الله سكتوا	٣٢
إنّ رسول الله ربّما قرأ القرآن	٥٤
إنّ علي بن الحسين كان يصلّي	٩٦
إنّ علي بن أبي طالب كان يلبس	٢٣
إن كان كلامك من فضّة	١٠٦
أن لايفقدك الله حيث أمرك	١٠ و ١١
إنّ من أعظم النّاس حسرة	٨١
إنّه حفظ الوقوف	٤٦
أوصاني ربي بالجار	١٠٣

الأحاديث | الصفحة

الأحاديث	الصفحة

الأحاديث	الصفحة

الأحاديث	الصفحة

• • •

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

مصادر التحقيق

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ اعيان الشيعة: للسيد محسن الامين، طبع منشورات دار التعارف، بيروت ١٤٠٣ هـ

٣ ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، طبع منشورات دار الكتب الاسلامية، والمكتبة الاسلامية ايران طهران.

٤ ـ تحف العقول: للشيخ الحرّاني، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف.

٥ ـ تفسير القمي: لعلي بن ابراهيم القمي، طبع منشورات مكتبة الهدى ايران قم.

٦ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، طبع منشورات جماعة المدرسين بقم ايران، قم.

٧ ـ الدر المنثور: للسيوطي، طبع منشورات مكتبة آية الله المرعشي ايران قم سنة ١٤٠٤ هـ

٨ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة، للراغب الاصبهاني، طبع منشورات رضي ايران قم.

٩ ـ شرح اصول الكافي للمولى صالح المازندراني، طبع منشورات المكتبة الاسلامية ايران طهران.

١٠ ـ شرح نهج البلاغة، للمحقق ابن ميثم البحراني، طبع منشورات مكتب الاعلام الاسلامي ايران قم.

١١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، طبع منشورات دار الكتب العلمية ايران قم.
١٢ ـ الصحيفة الكاملة السجادية: للامام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) طبع ايران قم.
١٣ ـ عوالي اللئالي، لأبي الجمهور الاحسائي، طبع مطبعة الشهداء ايران قم.
١٤ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي، طبع مصر.
١٥ ـ الكافي، لثقة الاسلام الكليني طبع منشورات دار الكتب الاسلامية ايران طهران.
١٦ ـ كتاب الصافي في تفسير القرآن للمولى الفيض الكاشاني طبع منشورات المكتبة الاسلامية ايران طهران.
١٧ ـ مجمع البحرين للطريحي، طبع منشورات المكتبة المرتضوية ايران طهران.
١٨ ـ مجمع البيان: للمفسر الكبير الطبرسي، طبع دار احياء التراث العربي بيروت.
١٩ ـ المصباح المنير: للفيومي، طبع منشورات دار الهجرة ايران قم.
٢٠ ـ المنجد في اللغة والاعلام، الطبعة الحادية والعشرون بيروت دار المشرق.
٢١ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للمحقق الخوئي، طبع منشورات المكتبة الاسلاميّة ايران طهران.
٢٢ ـ منية المريد: للشهيد.
٢٣ ـ الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي طبع دار الكتب الاسلامية ايران طهران.
٢٤ ـ نهج البلاغة ابن عبده.
٢٥ ـ نهج البلاغة لصبحي الصالح، طبع منشورات دار الهجرة ايران قم.
٢٦ ـ نور الثقلين، للعلامة الحويزي، طبع منشورات دار الكتب العلمية ايران قم.
٢٧ ـ وسائل الشيعة، للحر العاملي، طبع منشورات المكتبة الاسلاميّة، ايران طهران.

* * *